مــرقس

رسالة الفكر المسيحي
للشباب والخدام

أبريل ٢٠٢٤

«إِنْ سَكَتَ هؤُلاَءِ فَالحِجَارَةُ تَصْرُخُ!»

(لو ١٩: ٤٠)

دخل الربُّ يسوع أورشليم، واستقبلته الجموع بالتهليل وسَعَف النخيل، ثم دخل إلى الهيكل «وَأَخْرَجَ جَمِيعَ الَّذِينَ كَانُوا يَبِيعُونَ وَيَشْتَرُونَ فِي الْهَيْكَلِ، وَقَلَبَ مَوَائِدَ الصَّيَارِفَةِ وَكَرَاسِيَّ بَاعَةِ الْحَمَامِ ... وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ عُمْيٌ وَعُرْجٌ فِي الْهَيْكَلِ فَشَفَاهُمْ. فَلَمَّا رَأَى رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةُ الْعَجَائِبَ الَّتِي صَنَعَ، وَالأَوْلاَدَ يَصْرَخُونَ فِي الْهَيْكَلِ وَيَقُولُونَ: "أُوصَنَّا لابْنِ دَاوُدَ"! غَضِبُوا وَقَالُوا لَهُ: "أَتَسْمَعُ مَا يَقُولُ هؤُلاَءِ؟" فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: "نَعَمْ! أَمَا قَرَأْتُمْ قَطُّ: مِنْ أَفْوَاهِ الأَطْفَالِ وَالرُّضَّعِ هَيَّأْتَ تَسْبِيحًا"؟» (مت ٢١: ١٢ – ١٦).

(الصورة من كتاب: *The Life of our Savior Jesus Christ, by J. James Tissot*)

مرقس

رسالة الفكر المسيحي للشباب والخُدَّام

السنة ٦٨ أبريل ٢٠٢٤م.

العدد ٦٥٣ برمهات / برمودة ١٧٤٠ش.

المحتويات

الافتتاحية: كلمة قداسة البابا تواضروس الثاني:

«أَنْذِرُوا الَّذِينَ بِلَا تَرْتِيبٍ» ١

مقال للأب متى المسكين:

أسبوع الآلام ٩

من أقوال الآباء:

ارفعوا الحجر ١٤

بمناسبة البصخة المقدَّسة:

الإفخارستيا "الله معنا" ١٨

الصليب واللص اليمين ٢٤

مفاهيم كتابية: آلام الرب ٢٩

من التراث الكنسي:

من قانون الإيمان: "صُلِبَ" ٣٣

ادخل إلى العمق (٤١):

«الربُّ قد مَلَكَ على خشبة» ٣٩

بحث تاريخي:

دير الميمون ببني سويف (١) ٤٣

تقديم كتاب: حروب يهوه (١) ٤٧

مقال بالإنجليزية:

LIVING WITH CHRIST, Vol. 4, 26-28 ..... ٥٢

من تعليم آباء الكنيسة

للعلَّامة أوريجانوس

مثل شاةٍ سِيق إلى الذَّبح

(ترجمة النص اليوناني الآبائي المنشور في باطن الغلاف الأخير)

❁✝❁

[لمَّا أَخَذَ على نفسه كلَّ خطايا العالم بأسره،
كان قادرًا أن يمحوها ويُبيدها ويُزيلها،
لأنَّه «لَمْ يَفْعَلْ خَطِيَّةً، وَلَا وُجِدَ فِي فَمِهِ مَكْرٌ» (١بط ٢: ٢٢)،
وأرى أنَّه لهذا قال بولس: «الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيَّةً،
"جعله خطية" لِنَصِيرَ نَحْنُ بِرَّ اللهِ فِيهِ» (٢كو ٥: ٢١) ...
فإنَّه هو وحده كان يعرف أن يحمل الأمراض،
كما يقول إشعياء النبيّ:
«رجلُ أوجاعٍ ويعرف أن يحمل
الأمراض» (إش ٥٣: ٣س).
نعم، لقد أَخَذَ هو خطايانا، وتوجَّع بسبب آثامنا،
و قد وقع عليه العذاب الَّذي كان واجبًا علينا
لكي نتأدَّب ونستعيد به سلامنا،
لأنَّه بهذه الطريقة أفهم عبارة:
«تَأْدِيبُ سَلَامِنَا عَلَيْهِ» (إش ٥٣: ٥س).
وأيضًا: «بجُرحه شُفينا» (إش ٥٣: ٥س).
فإننا نحن الذين شُفينا بجرح الصليب الذي أتى عليه،
يمكننا أن نقول: «حَاشَا لِي أَنْ أَفْتَخِرَ إِلَّا بِصَلِيبِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ،
الَّذِي بِهِ قَدْ صُلِبَ الْعَالَمُ لِي وَأَنَا لِلْعَالَمِ» (غل ٦: ١٤).
فإنَّ يسوع هذا قد أسلمه الآبُ لأجل خطايانا،
وبسببها «مثل شاةٍ سِيق للذبح، وكحَمَلٍ صامتٍ
أمام الذي يجزُّه» (إش ٥٣: ٧س)].

(شرح إنجيل يوحنا ١١: ٥٠، الكتاب ٢٨: ١٦٠-١٦٦)

مرقس: يصدرها دير القديس أنبا مقار ـ برية شيهيت

مكتب التوزيع والاشتراكات
القاهرة: ٢٨ شارع شبرا
تليفون: ٢٥٧٧٠٦١٤
٠١٢٨٢٧٥٢٣٢٤
٠١٠٢٣٨٢١٣٨١
الإسكندرية: ٨ شارع جرين - محرم بك
تليفون: ٠٣٤٩٥٢٧٤٠
تصفَّح مجلة مرقس في موقع الدير على الإنترنت:
www.stmacariusmonastery.org
عنوان البريد الإلكتروني:
stmarkcare@gmail.com

رئيس التحرير: الأب سرجيوس المقاري
تسديد الاشتراكات: بحوالة بريدية باسم:
مجلة مرقس على مكتب بريد شبرا
على عنوان: ص. ب ٣١ شبرا ـ القاهرة
أو على حساب شيكات بريدية رقم:
٠١٣٣١٠٠٠٣٠٨٥٨١٨
ويُحظَر إرسال أيَّة نقود داخل المظروف بالبريد
ويُسدَّد الاشتراك عن طريق خدمة
أورانج وفودافون كاش الخاصة بأرقام المجلة
وتبدأ سنة الاشتراك في يناير من كلّ عام

ثمن النسخة اثنا عشر جنيهًا
الاشتراك السنوي: حرِّ ... حدُّه الأدنى:
١٥٠ جنيهًا: داخل مصر (تسليم باليد)
٢٠٠ جنيه: داخل مصر (بالبريد)
٤٠٠ جنيه: في البلاد العربية
١٠٠ دولار أمريكي: في البلاد الأخرى
يُسدَّد عن طريق موقع الدير **على الإنترنت**
عنوان المراسلات: ص. ب ٣١ شبرا ـ القاهرة
مطبعة دير القديس أنبا مقار
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢١٧ / ٢٠٢٤
الترقيم الدولي: ISSN 2805-2382

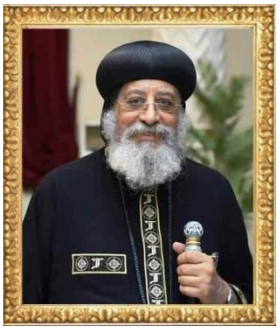

«أَنْذِرُوا الَّذِينَ بِلَا تَرْتِيبٍ»

(١تس ٥: ١٤)

لصاحب القداسة

البابا تواضروس الثاني

الافتتاحية

وصايا قصيرة جدًا

✠✠✠

فضيلة النظام، فضيلة هامة في حياتنا، بل في حفظ كيان الكون كله. الله هو المَثَل الأعلى في النظام، فالكون مُنظَّم بترتيبٍ عجيب، يظهر في الجماد والنبات والحيوان والإنسان.

والقوانين وُضِعَت لحفظ النظام في أيِّ مجتمع، فلا يمكن لأيِّ مجتمع أن يعيش إذا كان كل أفراده يفعلون ما يروق لهم دون مُراعاة لحقوق الآخرين. فالقانون حَفظَ النظام، الذي يُعرِّف الإنسان ما له وما عليه.

والنظام هو وضع هيكل تنظيمي للعمل، وتحديد المسؤوليات، واختيار الأصلح للقيام بكلِّ عمل، وغياب النظام هو مُعطِّل لكثير من الإنجازات.

ويسبق التنظيم مرحلة تُسمَّى التخطيط، وهي مرحلة الدراسة والتفكير المُسبَق لسير العمل، فمثلما قال السيِّد المسيح: «وَمَنْ مِنْكُمْ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَبْنِيَ بُرْجًا لَا يَجْلِسُ أَوَّلًا وَيَحْسِبُ النَّفَقَةَ، هَلْ عِنْدَهُ مَا يَلْزَمُ لِكَمَالِهِ؟ لِئَلَّا يَضَعَ الأَسَاسَ وَلَا يَقْدِرَ أَنْ يُكَمِّلَ، فَيَبْتَدِئَ جَمِيعُ النَّاظِرِينَ يَهْزَأُونَ بِهِ، قَائِلِينَ: هذَا الإِنْسَانُ ابْتَدَأَ يَبْنِي وَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يُكَمِّلَ» (لو ١٤: ٢٨ – ٣٠).

ويتبع التنظيم مرحلة التوجيه والمُتابعة والتقييم، وهي التأكُّد من أنَّ العمل يتمُّ وفق الخطة، والتعرُّف على ما تمَّ أو ما لم يتمَّ إنجازه، وتحليل النتائج وتجنُّب الأخطاء في المستقبل وتعديل الخطط.

أبعاد النظام:

أولًا: النظام وصية كتابية:

الله يُبارك النظام، ولا يُبارك الفوضى، ولا بدَّ أن تعرف أنَّ النظام وصية إنجيليَّة: «لأَنَّ اللهَ لَيْسَ إِلهَ تَشْوِيشٍ بَلِ إِلَهُ سَلَامٍ» (١كو ١٤: ٣٣). وكلمة "تشويش" هنا تعني: فوضى،

أو أمرًا ليس له شكل مُعيَّن.

وأيضًا يقول معلّمنا بولس الرسول: «وَلْيَكُنْ كُلُّ شَيْءٍ بِلِيَاقَةٍ وَبِحَسَبِ تَرْتِيبٍ» (١كو ١٤: ٤٠). وهذه الوصية لم تُذكَر لاتِّباعها داخل الكنيسة فقط، ولكنها وصية للحياة كلها: «وَأَمَّا الأُمُورُ الْبَاقِيَةُ فَعِنْدَمَا أَجِيءُ أُرَتِّبُهَا» (١كو ١١: ٣٤). فأول شيء لا بدَّ أن تعرفه أنَّ النظام وصية كتابية، وكَسْر النظام خطية.

ثانيًا: النظام احتياجٌ إنساني:

فمثلًا أجهزة جسم الإنسان تعمل بنظام مُعيَّن، والإنسان عندما يتناول طعامه بدون نظام يمرض، ويُشخِّص الطبيب الحالة بأنها تلبُّك معوي، وذلك لأن الجهاز الهضمي له نظام يعمل به، وإذا تمَّ مُخالفة هذا النظام يُصاب بالتعب. وأيضًا من مظاهر النظام، أنَّ الإنسان يقف أمام المرآة قبل أن يُغادر بيته، لكي ما يرى ترتيب ملابسه ومظهره. وتوجد في كلِّ بلد قوانين في جميع المجالات مثل قوانين المرور مثلًا، وهذا لكي يستطيع الإنسان أن يعيش في نظام.

فالنظام هو احتياجٌ إنساني لأيِّ شخص في حياته اليومية. فمثلًا عندما يتناول الإنسان دواءً معينًا، فإنه يأخذه بنظام وفي توقيتٍ مُعيَّن، وهكذا في أمورٍ كثيرة من أمور حياتنا اليومية. فالنظام ليس وصية إنجيليَّة فقط، ولكنه احتياجٌ إنساني أيضًا.

ثالثًا: النظام نجاحٌ للحياة:

الحياة لا تنجح إلَّا بالنظام، وكلمة "نجاح" تبدأ بحرف النون إشارة إلى "النظام"، فمثلًا الطالب المُرتَّب في وقته ودراسته وإجاباته في الامتحان سيحصل على النجاح.

مَنْ هم الذين بلا ترتيب؟

١ – غير الخاضعين لأيِّ قانون على أيِّ مستوى.

٢ – الذين يسلكون بأفكارهم الخاصة، كما يقول المَثَل: "خالِف تُعرَف"، وبالطبع هذا مبدأ غير صحيح.

٣ – مُحبُّو الفوضى (الفوضويون)، أي الإنسان الذي يستمتع بالفوضى. والفوضى من المُمكن أن تتسلَّل إلى أيِّ مجتمع أو شركة أو مصنع أو خدمة أو كنيسة.

٤ – الذين يعملون بما يُضاد إرادة الله، بمعنى الشخص الذي يستبعد مشيئة الله من فكره ومن حياته. لذلك نقول في الصلاة الربَّانيَّة: "لتكن مشيئتك"، ولكن مثل هذا الشخص يقول: "لتكن مشيئتي"!

٥ – المُنحرفون عن أيِّ ترتيب أو نظام كنسي، أو غير كنسي.

٦ – الذين يُفسِدون جمال الحياة بأعمالهم، فالله قد خلق الحياة جميلة، وخلقها أيضًا بنظام في كلِّ شيء، من مواعيد الزراعة إلى حركة النجوم والكواكب ... إلخ. أمَّا الذين بلا نظام، فإنهم يُفسِدون جمال الطبيعة، وجمال الإنسان، ويُفسِدون أيضًا جمال الحياة كلها.

٧ – أصحاب الأعمال الطائشة الشاذَّة، بمعنى الذين يفعلون أعمالًا دون عمل حساب لنتائجها.

٨ – الذين يخرجون عن مسار التاريخ الإنساني، مثال لذلك ما يحدث الآن في بعض بلاد الغرب، فمنذ بدء التاريخ الإنساني نعلم أنَّ الأسرة مكوَّنة من آدم وحواء، أي من رجل وامرأة. ولكن، للأسف، نجد الآن مَنْ يُنادي بأنَّ الأسرة تتكوَّن من آدم وآدم، أو حواء وحواء، وهذا هو معنى الخروج عن مسار التاريخ الإنساني.

٩ – الذين يُهملون تربية أبنائهم، فالأبناء وزنات في حياة آبائهم.

١٠ – الذين يكسرون سلام المجتمع، فالمُجتمعات تُريد أن تعيش في سلام، ولكن قد يأتي البعض ويكسر هذا السلام، ويُكدِّر صفو المجتمع الذي يعيش فيه، أي يُعكِّر السلام الاجتماعي للمجتمع.

معنى "أنذروا":

كلمة "أنذروا" تعني: "علِّموا وانصحوا"، ولكن بكلِّ حزم ووضوح. وتعني أيضًا "أنذروا بكلِّ سُلطة"، فالأب والأم لهما سُلطة على أولادهما، ونُسمِّيها السُّلطة الوالدية. لذلك "أنذروا" كلمة خطيرة وهامة في عبارات الكتاب المقدَّس، وأيضًا الإنذار يكون بكلِّ مسؤولية، بمعنى المسؤولية على العمل الذي يوكَّل إلى الإنسان.

مشاهد للنظام من الكتاب المقدَّس:

النظام له تاريخ في الكتاب المقدَّس، والأمثلة التي تحثُّ على النظام في حياة رجال

الكتاب المقدَّس كثيرة، سنأخذ منها مَثَلًا في العهد القديم، وآخر من العهد الجديد:

١. في العهد القديم:

■ **موسى النبي:**

يُحدِّثنا الكتاب المقدَّس عن موسى النبي الذي عاش ما يقرب من ١٢٠ عامًا، حيث قاد خلالها شعب بني إسرائيل في رحلة خروجه من أرض مصر.

وفي حياته ظهرت مواقف النظام والترتيب، منها:

(أ) مشورة يثرون لموسى:

فقال يثرون لموسى: «لَيْسَ جَيِّدًا الأَمْرُ الَّذِي أَنْتَ صَانِعٌ ... لأَنَّ الأَمْرَ أَعْظَمُ مِنْكَ .لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصْنَعَهُ وَحْدَكَ ... وَعَلِّمْهُمُ الْفَرَائِضَ وَالشَّرَائِعَ، وَعَرِّفْهُمُ الطَّرِيقَ الَّذِي يَسْلُكُونَهُ، وَالْعَمَلَ الَّذِي يَعْمَلُونَهُ. وَأَنْتَ تَنْظُرُ مِنْ جَمِيعِ الشَّعْبِ ذَوِي قُدْرَةٍ خَائِفِينَ اللهَ، أُمَنَاءَ مُبْغِضِينَ الرِّشْوَةَ، وَتُقِيمُهُمْ عَلَيْهِمْ رُؤَسَاءَ أُلُوفٍ وَرُؤَسَاءَ مِئَاتٍ وَرُؤَسَاءَ خَمَاسِينَ وَرُؤَسَاءَ عَشَرَاتٍ، فَيَقْضُونَ لِلشَّعْبِ كُلَّ حِينٍ ...» (خر ١٨: ١٧ – ٢٣).

لقد قام موسى بوضع بناء مُنظَّم في العمل، لكي يستطيع كل فرد من الشعب أن يجد ما يحتاجه من قضاء أو نصيحة أو تعليم ... إلخ، ويُعتبَر هذا الحَدَث أول صورة هرمية للقيادة الناجحة.

(ب) الوصايا والشرائع (خر ٢٠ – ٢٣):

الله أعطى موسى الوصايا العشر والشرائع ليمشي عليها شعبه بنظامٍ وسط الشعوب الوثنية، وهذه أول صورة لمجموعة من القوانين تحكم السلوك الإنساني.

(ج) الإحصاء (عد ١):

قال الربُّ لموسى: «أَحْصُوا كُلَّ جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِعَشَائِرِهِمْ وَبُيُوتِ آبَائِهِمْ، بِعَدَدِ الأَسْمَاءِ، كُلَّ ذَكَرٍ بِرَأْسِهِ» (عد ١: ٢).

أي حَصْر الذكور القادرين على الحرب، وقد حدَّدهم الله بمَنْ هم فوق سنِّ العشرين. وقد كلَّف الرب موسى وهارون أن يستعينا باثني عشر رجلًا هم رؤساء الأسباط لإتمام هذا الحصر.

إنَّ الله يُعلِّمنا هنا أمرين:

الأول: هو التنظيم والتخطيط لأيِّ عملٍ نقوم به.

الثاني: الاستعانة بالآخرين وتوظيف إمكانياتهم حتى يتم العمل بأكثر سرعة وأقل مجهود.

(د) خيمة الاجتماع (عد ٢):

وَضَع الربُّ نظامًا دقيقًا لكلِّ شيء في إقامة خيمة الاجتماع، وكذلك في تقسيم الاثني عشر سبطًا حول الخيمة، وذلك بأن تكون كل مجموعة تتكوَّن من ثلاثة أسباط ولها راية تُميِّزها، وذلك عند الاستقرار وعند الارتحال، فقد خصَّص الله مَنْ له الحق في الفَّكِ والحَمْلِ.

وهكذا التزم الشعب بهذا النظام الموضوع ما يقرب من ٤٠ سنة عند ارتحالهم واستقرارهم. إنَّ النظام يوفِّر الوقت ويمنع الهرج والمرج، وتيهان الأطفال وسط الشعب الكبير، والرايات العالية لهداية كل مَنْ ضَلَّ عن أهله أثناء الرحلة.

٢. في العهد الجديد:

■ **السيِّد المسيح:**

(أ) معجزة إشباع الجموع:

تظهر الصورة للنظام في معجزة الخمس خبزات والسمكتين، حيث طلب السيِّد المسيح من تلاميذه إطعام الجموع التي كانت مُجتمعة لسماع تعاليمه!!

وأَمَر المسيح تلاميذه أن يُتكِئوا الشعب فِرقًا خمسين خمسين (لو ٩: ١٤)، ثم بارك الخمس خبزات والسمكتين، وأعطى التلاميذ ليعطوا الجموع من هذا الطعام الذي تبارَك وتكاثَر!!

(ب) في الخدمة:

في بداية خدمة السيِّد المسيح، علَّمنا أنَّ الخدمة هي خدمة البشر قبل الحَجَر، وبناء على ذلك اختار اثني عشر تلميذًا لكي ما يُعدَّهُم.

ثم بعد ذلك، اختار سبعين رسولًا لكي ما يُعدَّهم للكرازة والخدمة، وقد أرسلهم اثنين اثنين: «وَبَعْدَ ذلِكَ عَيَّنَ الرَّبُّ سَبْعِينَ آخَرِينَ أَيْضًا، وَأَرْسَلَهُمُ اثْنَيْنِ اثْنَيْنِ أَمَامَ وَجْهِهِ إِلَى كُلِّ مَدِينَةٍ وَمَوْضِعٍ حَيْثُ كَانَ هُوَ مُزْمِعًا أَنْ يَأْتِيَ» (لو ١٠: ١).

ويُعلِّمنا الكتاب في سِفْر الأمثال: «اِثْنَانِ خَيْرٌ مِنْ وَاحِدٍ، لأَنَّ لَهُمَا أُجْرَةً لِتَعَبِهِمَا صَالِحَةً. لأَنَّهُ إِنْ وَقَعَ أَحَدُهُمَا يُقِيمُهُ رَفِيقُهُ. وَوَيْلٌ لِمَنْ هُوَ وَحْدَهُ إِنْ وَقَعَ، إِذْ لَيْسَ ثَانٍ لِيُقِيمَهُ» (جا ٤: ٩ و١٠).

فوجود اثنين ذلك لكي ما يُساعد أحدهما الآخر، ويكون نجاحهما معًا، ويُقدِّما بعضهما بعضًا في الكرامة، لأن هذا يحفظهما ويحميهما من خطية الذات. وعندما أراد السيِّد المسيح أن يرسم للتلاميذ خطَّة الكرازة وذلك قبل صعوده إلى السموات، وبعد أن تتلمذوا على يديه ثلاث سنوات، قال لهم: «وَتَكُونُونَ لِي شُهُودًا فِي أُورُشَلِيمَ وَفِي كُلِّ الْيَهُودِيَّةِ وَالسَّامِرَةِ وَإِلَى أَقْصَى الأَرْضِ» (أع ١: ٨). وهذه خطة مُحكَمَة جغرافيًا، فأورشليم هي الدائرة الصغيرة جدًّا، ثم تتَّسع هذه الدائرة إلى اليهودية، ثم تتَّسع أكثر إلى السامرة (الجيران)، ثم تتَّسع أكثر وأكثر فتَصِل إلى العالم كلّه.

وعند دراسة سِفْر أعمال الرُّسل، نجد أنَّ أول أصحاحاته تتكلَّم عن أورشليم باعتبارها أول مكان للخدمة، وفي نهاية الأصحاحات تتكلَّم عن روما كمكان للخدمة. وروما في هذا الوقت كانت تُعتبَر آخر العالَم (في بُعْد المسافة)، وكانت عاصمة للإمبراطورية الرومانية.

والمسافة من أورشليم إلى روما هي سِفْر الأعمال، وتُمثِّل ما يقرب من ثلاثين عامًا، من صعود السيِّد المسيح في سنِّ الثلاثة والثلاثين إلى استشهاد القدِّيس بولس الرسول عام ٦٧م.

وإن كان بعض الناس قد اعتادوا على ترديد عبارة: "خلِّيها بالبركة"! لكن البركة في النظام.

من الجميل أن تدرس الكتاب المقدَّس من باب النظام، فابحث عن مشاهد النظام في الأسفار المقدَّسة، وستجد أنَّ هذه المشاهد كثيرة، ثم قُمْ بدراستها والتأمُّل فيها.

■ **الكنيسة:**

ومن ضمنها الكنائس الرسولية، ومنها كنيستنا القبطية الأرثوذكسية:

(أ) **في الرعاية:**

يتمُّ فيها العمل بلياقةٍ وترتيب، فالكنيسة عند تكوينها تكوَّنت على قدرٍ عالٍ جدًّا من النظام:

- وضعت نظامًا هرميًّا في القيادة والتدبير، يبدأ بالقمة وينتهي بالقاعدة، فهو يبدأ بـ:

  ١. البطريرك ٢. الآباء الأساقفة ٣. الآباء الكهنة

  ٤. الخُدَّام/ الشمامسة ٥. الشعب

- وضعت الكنيسة شروطًا واختصاصات لكلٍّ من الأسقف والكاهن والشماس. فنجد مثلًا الأسقف مسؤولًا عن التدشين ورسامة الكهنة والشمامسة ونقاوة التعليم، والكاهن

مسؤول عن إقامة الأسرار ويُساعده الشمَّاس.

- عندما نفتح كتاب الخولاجي، نجده مكتوبًا بنظام بديع، فهو مكتوب بطريقةٍ توضِّح ما يجب أن يُصلِّيه الكاهن، وما هي مردَّات الشماس، وما هي مردَّات الشعب، فلكل واحد دورٌ في الصلاة.
- تضع الكنيسة نظامًا في إجراءات شهادات خلو الموانع، أو في تنظيم العطاء للمُحتاجين.
- في خدمة التربية الكنسيَّة: نجد المخدوم والخادم وأمين الخدمة.

(ب) في الطقس:

كلمة "طقس"، كلمة يونانية تعني نظام أو ترتيب، وكلمة طقس في كنيستنا تعني النُّظُم والترتيبات الكنسيَّة، سواء صلوات أو أصوام أو أعياد، بما فيها شكل المبنى الكنسي ومحتوياته.

وقد أصبحت عبارة "طقس الكنيسة"، من أدبيات الكنيسة في خدماتها المختلفة، فمثلًا نقول: طقس اليوم، أو طقس الصيام، أو طقس العيد، أو طقس الميرون، أو ... إلخ. وصارت الكلمة اليونانية "طقس"، لا تعني مُجرَّد النظام، بل أصبحت تعني "منهج حياة".

علينا أن نحترم النظام: الصلاة بنظام، قراءة الكتاب المقدَّس بنظام، الاعتراف بنظام وانتظام، وأيضًا الخدمة بنظام.

مجالات النظام:

هناك ثلاثة مجالات للنظام في حياتنا اليومية وهم:

[١] مجال الأسرة:

فلا تغفل عن تصرُّفات ابنك أو ابنتك، أو تقول إنه ما يزال صغيرًا، فلا بدَّ من الانتباه لتصرُّفات الأبناء، وأن يكون ذلك بحساب وحكمة، فيُمكن أن يبدأ خطأ مُعيَّن، أو انحراف صغير ثم يكبر مع الوقت. فحاول أن تكون أبًا حكيمًا، أو تكوني أُمًّا حكيمة أثناء تربية أبنائكم، وتذكَّروا هذه الآية: «أَنْذِرُوا الَّذِينَ بِلَا تَرْتِيبٍ»، فلا بدَّ للابن أن ينشأ على ترتيب وعلى نظام وعلى منهج حياة.

[٢] مجال الكنيسة

للكنيسة مجالات كثيرة للنظام، فمثلًا في مجال العقيدة عندما يكسر الإنسان العقيدة أو

الإيمان، تراه الكنيسة أنه خرج وانحرف وضلَّ، فتحكُم عليه أنه صار مُهرطقًا، أو ابتدع في الإيمان.

ف «أَنْذِرُوا الَّذِينَ بِلَا تَرْتِيبٍ»، يمكن أن تُطبَّق في الأمور العقائدية، وأيضًا تُطبَّق في أمور العبادة والطقس، بمعنى أنَّ كلَّ أب كاهن وكل خادم في مجال خدمته مسؤول عن توبة النفوس. فلا يجب أن ترى الخطأ وتصمت عنه، بل يجب أن يجد هذا الخطأ منك كل نصيحة أو توجيه وإنذار، وأن يجد أيضًا منك بابًا مفتوحًا للتوبة. فمَنْ يكسر قانون أو وصيَّة أو نظام بالكنيسة يحتاج إلى توبة.

أيضًا في الرهبنة يُطبَّق النظام، باعتبار الرهبنة كيانًا مسيحيًّا وكنسيًّا، وكيانًا روحيًّا بالدرجة الأولى. فالرهبنة لها نظامٌ، وحياة الراهب أو الراهبة له نظام ومعايير مُعيَّنة، وله درجات في التقدُّم الروحي والحياة الروحية، وله أيضًا نمو وخضوع وطاعة.

[٣] مجال المجتمع:

«أَنْذِرُوا الَّذِينَ بِلَا تَرْتِيبٍ»، هي وصية موجَّهة لأيِّ شخصٍ يكسر القانون. فالمجتمع دائمًا يحتاج إلى قوانين تضبط حياته وحركته.

قرأتُ في إحدى المرات عن ابن ملكة في إحدى الدول تعدَّى السرعة المُقرَّرة في قيادته لسيارته، وكان ذلك في يوم خُطبته، فما كان من ضابط المرور إلَّا أنه أوقفه ووضعه في السجن، وذلك بعد أن اكتشف أنه كان مُتعاطيًا لمادة كحولِّيَّة قبل القيادة، ولم يُعمَل له أي استثناء باعتبار أنه ابن الملكة، وكان هذا من أجل سلامة المجتمع.

الإنسان المسيحي يجب عليه أن يحفظ القانون.

والخُلاصة، يا إخوتي، إنَّ النظام، هو جمال وسلامة الحياة، بمعنى سلامة حياة الإنسان يومًا بعد يوم، والنظام به التزام أيضًا. فنحن نتعلَّم من الكون مواعيد الفصول المختلفة من شتاء وصيف وربيع وخريف، ونتعلَّم أيضًا من شروق الشمس وظهور القمر، نحن نتعلَّم من النظام الكوني ككل. ونتعلَّم أيضًا من جسم الإنسان، وكيف تعمل جميع أجهزته بنظامٍ بديع ودقيق، ومن هذا النظام ظهرت العلوم الكثيرة في كلِّ جيلٍ وكلِّ زمان.

البابا تواضروس الثاني

مقال للأب متى المسكين

أسبوع الآلام[1]

يبتدئ أسبوع الآلام بدخول المسيح أُورشليم يوم الأحد وينتهي بالقيامة.

وقد عَلِمنا من القدِّيس متى أنَّ المسيح أنهى رحلته إلى اليهودية بعد أن ترك بيرية وعَبْر الأُردن واتَّجه إلى أريحا، وهناك شفى الأعميَيْن. ومن أريحا اتَّخذ المسيح الطريق الصاعد إلى أُورشليم، ومعه جماعتان: الأُولى: التي رافقته من الجليل، وفيها النسوة القدِّيسات المُكرَّمات وأقارب يسوع وتلاميذه؛ والثانية: الجماعة التي تجمَّعت من اليهودية وبيرية، ورافقهم الأعميان بعد أن شُفيا وهما يُمجِّدان الله، وقد ألهبا حماس الجماعة حتى أُورشليم. وبهذه المجموعة، بلغ قبل غروب شمس الجمعة، مشارف بيت عنيا القرية المحبوبة لدى يسوع جدًّا، والتي نعرف عنها الكثير من إنجيل القدِّيس يوحنا، والتي فيها لعازر حبيبه ومرثا ومريم اللتان كانتا موضع محبة المسيح وتكريمه، والتي أقام فيها لعازر من بين الأموات بعد أربعة أيام من الدفن. كذلك من إنجيل القدِّيس متى وإنجيل القدِّيس مرقس، نَعْلَم أنَّه قد استضافه سمعان الأبرص، حيث جاءت المرأة حاملة الطِّيب الناردين وسكبته على رأسه. ومن رواية القدِّيس يوحنا، نعْلَم أنَّ لعازر كان أحد المُتَّكئين معه، وأنَّ المرأة صاحبة الناردين الكثير الثمن هي مريم التي أقام أخاها من الموت. وقد استراح هو وتلاميذه في بيت عنيا يوم السبت بكامله، حيث عُمِلت الوليمة بعد غروب شمس السبت. وفي باكر الأحد، رتَّب موكب دخوله أُورشليم وسط تلاميذه وجموع مُحتشدة كثيرة.

ودخول المسيح إلى أُورشليم في موكبه، كان حَدَثًا كبيرًا، ويمكن أن نستخرج منه مُلاحظات هامة:

أولًا: كان المسيح على عِلْمٍ تام بأن دخوله بموكبه الظافر في وسط الشعب الغفير وهو يهتف بابن داود، سيُثير الفزع في قلوب السنهدرين والفرِّيسيين والكَتَبة وشيوخ

(١) عن كتاب: "الإنجيل بحسب القدِّيس متى – دراسة وتفسير وشرح"، للأب متى المسكين، الطبعة الخامسة: ٢٠١٩، من ص ٥٧٠ – ٥٧٥.

الشعب، الذين خطَّطوا سابقًا أن لا يكون القبض في العيد خوفًا من الشعب. فزاد إصراره هو أن يُجبرهم على أن يُتمِّموا خططهم في العيد، لأنه كان قد نوى أن يكون هو الفصح الحقيقي لإسرائيل ويُكمِّل فداءه يوم العيد. وهكذا يُعتبَر أنَّ المسيح، عن تخطيطٍ ماهر سماوي، غيَّر خطط رؤساء الكهنة ليجعل ذبيحته يوم العيد وليس بعده.

ثانيًا: وبهذا الدخول الظافر جالسًا على ابن أتان بين تلاميذه، قَصَد المسيح قَصْدًا أن يُكمِّل نبوَّة زكريا، فرتَّب بنفسه ابن الأتان الذي ركبه، وتَرَك للأولاد ولتلاميذه العنان للهتاف باسم "ابن داود" و"مملكة أبينا داود". ولمَّا أراد الكهنة والفرِّيسيُّون أن يمنعوا الأولاد وراجعوه بشدَّة أن يُسكتهم، كان ردُّه: "لو سكت هؤلاء لصرخت الحجارة"، إمعانًا في الإعلان عن مسيَّانيته ومملكة داود.

ثالثًا: وإمعان المسيح في ركوبه ابن الأتان، هو استعلانه للسلام الذي جاء ليُعلنه بملوكيته وليس الحرب ضد الرومان. كما أكَّد بالفعل أنه وديعٌ ومتواضع القلب، كما نطقت النبوَّة بفم زكريا النبي: «هُوَ ذَا مَلِكُكِ يَأْتِي إِلَيْكِ. هُوَ عَادِلٌ وَمَنْصُورٌ وَدِيعٌ وَرَاكِبٌ عَلَى حِمَارٍ وَعَلَى جَحْشٍ ابْنِ أَتَانٍ» (زك ٩: ٩).

ولكن، للأسف، فإنَّ الجميع حتى التلاميذ لم يقفوا ولا لحظة إزاء هذا التخطيط ليُدركوا منه قَصْد المسيح؛ بل ظنُّوا أيضًا أنه يختصُّ بإعلان ملوكيته الأرضية. الأمر الذي فوَّت بالتالي على رؤساء الكهنة والفرِّيسيين والكَتَبَة مفهوم هذا الموكب النبوي الواضح. فالذين كانوا يهتفون لم يُدركوا قط أنهم كانوا يهتفون لمسيَّا السلام، ولا الرؤساء أدركوا ذلك فأرادوا أن يُسكتوهم. وهكذا ضاع مفهوم المسيَّا الحقيقي بين الأخصَّاء والأعداء على السواء. ولكن على أيِّ حالٍ عجَّل المسيح السنهدرين مُجبرًا بالقبض عليه وفي العيد رغمًا عن أنفهم.

ولم يلتفت أحدٌ قط كيف بكى الملك وهو داخل على المدينة في وسط موكب الهتاف! بكى على مصيرها المحتوم وخرابها المُعجَّل بسبب رفض الكهنة. دخل ليموت ويفدي أُورشليم وإسرائيل، وليس ليملك (لو ١٩: ٤١و٤٢). وبسبب عَمَى قلوب الشعب الذي لم يعرف مسيَّا السلام ويوم خلاصه ولا يوم افتقاده، وظنُّوه مسيَّا الحرب فرحَّبوا به وهلَّلوا. فالذين هتفوا بقدومه مُهلِّلين لمَّا أدركوا أنه ليس ملك الحرب، هتفوا بعد خمسة أيام بصلبه!!

دقائق الخطوات التي سارت يوم الأحد:

١ ـ (مت ٢١: ١–٣و٦و٧)، (مر ١١: ١–٧)، (لو ١٩: ٢٨–٣٥)، (يو ١٢: ٢و١٢):
بعد ما ترك المسيح بيت عنيا أرسل تلميذيه لقرية بيت فاجي (حقل التين) بتوصية لإحضار حمار صغير (ابن أتان كان مربوطًا مع أُمَّه)، قاصدًا أن يركبه في دخوله أُورشليم تتميمًا لنبوَّة زكريا. والقدِّيس متى يذكر أنهما كانا معًا، الحمار الصغير وأُمه، ولكن المسيح استخدم الجحش أي الحمار الصغير، ونفَّذ التلاميذ أَمْر المسيح.

٢ ـ (مت ٢١: ٤و٥و٧)، (مر ١١:٧)، (لو ١٩:٣٥)، (يو ١٢: ١٤و١٥):
فَرَش التلاميذ قمصانهم على الجحش وأُمِّه، وساعد التلاميذ المسيح في ركوبه الجحش، واتَّجه المسيح بالموكب صوب أُورشليم. وفي هذا الحَدَث يذكُر القدِّيس متى والقدِّيس يوحنا أنَّ هنا تمَّت نبوَّة زكريا (٩:٩).

٣ ـ (مت ٢١:٨)، (مر ١١:٨)، (لو ١٩:٣٦):
معظم الشعب الذي سار خلف موكب المسيح، كانوا يفرشون ثيابهم على الطريق ليعبُر عليها المسيح راكبًا الجحش، وآخرون قطعوا الأغصان وحملوها مُهلِّلين.

٤ ـ (يو ١٢: ١و١٢و١٣و١٨):
تجمَّعت جماعات الحُجَّاج التي بلغها خبر إقامة المسيح للعازر من الموت، وكانت أُورشليم مكتظَّة بهم بسبب الفصح، فأسرعوا وخرجوا من الباب الشرقي ليستقبلوا المسيح وينضموا إلى الموكب الظافر للملك القادم، وحملوا سعف النخل في أيديهم رمز النصرة في استقبال الملوك، مرحِّبين بالمسيَّا.

٥ ـ (مت ٢١:٩)، (مر ١١:٩و١٠)، (لو ١٩:٣٧و٣٨)، (يو ١٢:١٣):
وحالما التقى الجمعان: واحدٌ من أمام، والآخر من الخلف؛ تمَّت الأنتيفونا التي تنبَّأ عنها داود في المزمور (مز ١١٨: ١٩– ٢٨)[٢]. وكان تقابلهما على مُنحدر جبل الزيتون في مقابل الباب الشرقي للمدينة. واقتربوا من المدينة وخرج الهتاف مُدوِّيًا حتى عنان السماء: "أوصنَّا يا ابن داود" بمعنى: "خلِّصنا يا ابن داود"، باعتباره الملك

(٢) بخصوص "موكب المسيَّا" في التقليد اليهودي السابق، راجع كتاب: "الإفخارستيا والقدَّاس"، للمؤلِّف، صفحة ٢١٤-٢١٧.

المسيَّا القادم للخلاص. ولكن للأسف أضمروا الخلاص من عبودية الرومان، وليس من عبودية الناموس والخطية والموت الأبدي.

٦ ـ (يو ١٢:١٧):

أمَّا الذين عاينوا قيامة لعازر من الموت وتفتيح أعين الأعميَيْن، فكان صراخهم بحماسٍ شديد.

٧ ـ (لو ١٩: ٣٩و٤٠):

لم تحتمل جماعة الفرِّيسيين هذا الهتاف للمسيَّا، فأسرعوا يطلبون من المسيح أنْ يُسكِت التلاميذ. ولكن كان المسيح راضيًا بهتافهم، ليس لأنه كان محتاجًا إليه، ولكن لكي يُحرج الفرِّيسيين والسنهدرين معهم ليُكمِّلوا جريمتهم. لأنه كان قد نوي منذ اليوم الأول الذي تحرَّك فيه من الجليل أن يُصلَب يوم الفصح! فقال لهم: «إِنْ سَكَتَ هؤُلَاءِ فَالْحِجَارَةُ تَصْرُخُ!».

٨ ـ (لو ١٩: ٤١–٤٤):

وحينما تراءت المدينة أمام المسيح، وهو في وسط هذه الضجَّة العُظمَى التي كانت بغير فهم ولا معرفة، وكأنه ملكٌ قادم لتخليص المدينة من الرومان؛ بكى عليها لأنها لم تعرف زمان افتقادها، ولا استطاعت أن تتعرَّف على مُخلِّصها الحقيقي وفاديها. بكى بكاءً عاليًا ومسموعًا، لأنه رآها وهي مُحاطة بمترسة وجيوش تيطس تقطع بالسيف رقاب شعبها، وتبقر بالسيف بطون نسائها، وتُعلِّق أطفالها على أسنَّة الرماح وهي تتلوَّى. فلمَّا رفضت سلامها حلَّ خرابها (لو ١٩: ٤١ – ٤٤).

٩ ـ (مت ٢١: ١٠و١١)، (مر ١١: ١١و١٢):

وعندما دخل المسيح المدينة اهتزَّت المدينة كلها، والكلُّ يتساءل: مَنْ هذا؟ إنه النبي يسوع الذي من ناصرة الجليل. وفي المساء عاد المسيح إلى بيت عنيا.

دقائق الخطوات التي صارت يوم الاثنين:

١٠ ـ (مت ٢١: ١٢ـ١٤)، (مر ١١: ١٥ـ١٧)، (لو ١٩: ٤٥ـ٤٧):

دخل المسيح الهيكل وقام بطرد الذين كانوا يبيعون ويشترون، وبحسب القدِّيس متى تقدَّم إليه عُميٌ وعرجٌ فشفاهم.

١١ ــ (مت ٢١: ١٥و١٦):

الأولاد في الهيكل بدأوا يصيحون هوشعنا ــ خلّصنا يا ابن داود. ورؤساء الكهنة والكَتَبَة في غيظهم، قالوا له: «"أَتَسْمَعُ مَا يَقُولُ هؤُلَاءِ"؟ فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: "نَعَمْ! أَمَا قَرَأْتُمْ قَطُّ: مِنْ أَفْوَاهِ الأَطْفَالِ وَالرُّضَّعِ هَيَّأْتَ تَسْبِيحًا؟"».

١٢ ــ (يو ١٢:١٩):

«فَقَالَ الْفَرِّيسِيُّون بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: "انْظُرُوا! إِنَّكُمْ لَا تَنْفَعُونَ شَيْئًا! هُوَ ذَا الْعَالَمُ قَدْ ذَهَبَ وَرَاءَهُ!"»، وهذا مِمَّا جعلهم يتعجَّلون القبض عليه وفي العيد، بالرغم من احتراسهم السابق أن لا يقبضوا عليه في العيد. وهكذا نجحت خطة المسيح في إجبارهم لتقديم ميعاد جريمتهم ليُكمِّل رسالته التي جاء من أجلها في الميعاد.

١٣ ــ (مت ٢١:١٧):

حينما حلَّ المساء، تركهم هو وتلاميذه، وخرج وبات في بيت عنيا.

١٤ ــ (يو ١٢:١٦):

الختام الإجمالي لكلِّ هذا الذي حدث في هذين اليومين: «وَهذِهِ الأُمُورُ لَمْ يَفْهَمْهَا تَلَامِيذُهُ أَوَّلًا، وَلكِنْ لَمَّا تَمَجَّدَ يَسُوعُ، حِينَئِذٍ تَذَكَّرُوا أَنَّ هذِهِ كَانَتْ مَكْتُوبَةً عَنْهُ، وَأَنَّهُمْ صَنَعُوا هذِهِ لَهُ». طبعًا هذا كله بخصوص موكب الدخول والهتاف والأنتيفونا التي رجَّت أُورشليم، والتي أخطأوا فهمها ومعناها. وكانوا مجرَّد مُمثِّلين لأدوار لم يفهموها.

أسبوع الآلام بحسب القدِّيس متى:

انتبهت الكنيسة مُبكِّرًا جدًّا إلى الترتيب الذي صنعه القدِّيس متى واتَّخذوه أساسًا لليتورجية أسبوع الآلام. وهكذا صار هذا الجزء من الإنجيل داخلًا في صميم ليتورجية العبادة؛ بل صار قطعة حيَّة من عبادة المسيحيين في كلِّ أنحاء المسكونة وكلِّ الكنائس بكلِّ اللغات. وصارت قراءات أسبوع الآلام من أشهر ما حفظت الشعوب من الإنجيل وانطبعت بألحانها في ذاكرة الأطفال والكبار، وصار ينتظرها المسيحيون كلَّ سنة ويحتفلون بها بحسب خطواتها وأغصان الزيتون والنخيل والألحان بأُوصنَّا في مواكب يحتلَّها الأطفال مع الكبار، وكأن الكنيسة تحيا كلها في حقائق هذا الأسبوع المجيد.

ارفعوا الحجر

للقدِّيس بطرس كريزولوغوس[1]

(٤٠٠ – ٤٥٠م)

في فصل إقامة لعازر، يقول القدِّيس يوحنا الإنجيلي: «فَانْزَعَجَ ("فأنَّ" من "أنين" باللغة اليونانية) يَسُوعُ أَيْضًا فِي نَفْسِهِ وَجَاءَ إِلَى الْقَبْرِ، وَكَانَ مَغَارَةً وَقَدْ وُضِعَ عَلَيْهِ حَجَرٌ» (يو ١١: ٣٨). لقد أَنَّ **"الروحُ"** لكي يرجع الجسد إلى الحياة، أَنَّت **"الحياةُ"** حتى يهرب الموت، أَنَّ **"الله"** حتى يقوم الإنسان، أَنَّ **"الغفرانُ"** لئلا يكون حُكْم القضاء سلبيًّا أو غير ملائم. المسيح يئنُّ عندما يقهر الموت، لأن الذي ينتزع نصرة على العدو لا نظير لها لا يمكنه إلَّا أن يئنَّ. ولكن كونه أَنَّ مرَّتين في (يو ١١: ٣٣ و٣٨)، فإنَّ ذلك لكي يُقدِّم دليلًا على قيامةٍ مُضاعفة، لأنه كما بصوت المسيح يقوم الأموات بالجسد من قبورهم؛ هكذا فإنَّ الأموات في عدم إيمانهم يقومون إلى حياة الإيمان.

يقول الإنجيلي: «وَكَانَ مَغَارَةً». ولكن كان يكفي أن يقول إنَّ الرب: «جَاءَ إِلَى الْقَبْرِ»، فلماذا اهتمَّ بذِكْر أنه كان مغارةً؟ لقد كانت بالتأكيد مغارةً، تلك التي أودع الشيطان البشر فيها بلصوصية، مغارةً دَفَنت فيها خداعاتُ المرأة الإنسانَ، مغارةً حَبَسَ فيها جشعُ الموت خليقةَ الله.

«كَانَ مَغَارَةً وَقَدْ وُضِعَ عَلَيْهِ حَجَرٌ». لقد أُوصِد باب الموت القاسي بحجرٍ أشدَّ قسوة. ولكن ما هو الخير الذي ينتج عن البكاء عند القبر، طالما أنَّ صوت البكاء لا يخترق مثل تلك الحواجز الصلبة الكثيفة؟ أيها المسيحيُّون، دعونا نبكي أمام الله بسبب خطايانا، ولا نبكي مع الوثنيين أمام الموتى الذين لا يسمعوننا!

أَلَا يمكن للقدير أن يرفع الحجر؟

«قَالَ يَسُوعُ: "ارْفَعُوا الْحَجَرَ!"» (آية ٣٩). مع كلِّ القوات الإلهيَّة التي يمتلكها المسيح، هل

---

(1) *The Fathers of the Church*، Vol. 109، Sermon 65، p. 260.

والقدِّيس بطرس كريزولوغوس (والتي تعني باللغة اليونانية: "ذهبي الكلمة")، هو من آباء القرن الخامس الميلادي (٤٠٠-٤٥٠م). وهو أسقف رافِنَّا بإيطاليا. وقد وصل إلينا الكثير من عظاته التي كتبها باللغة اللاتينية وتُرجمت إلى اللغات الحيَّة، ولكن بعض كتاباته قد فُقِدَت. ويُلقَّب في الكنيسة الغربية بـ "كريزو-لوغوس" أي "ذهبي الكلمة"، مُقارنةً بالقدِّيس يوحنا ذهبي الفم (خريزو-ستوموس) في الكنيسة الشرقية.

يحتاج إلى معونةٍ بشرية؟ أَلَا يستطيع ذاك القادر أن يقهر الموت أن يرفع الحجر؟ أَلَا يستطيع ذاك الذي يملك القدرة على أن يفتح أبواب الجحيم أن يحلَّ حواجز القبر؟ إنه قال بالنبي: «أَنْزِعُ قَلْبَ الْحَجَرِ مِنْ لَحْمِهِمْ وَأُعْطِيهِمْ قَلْبَ لَحْمٍ» (حز ١١: ١٩). وعلى ذلك، فقد أَمَرَ الربُّ اليهودَ أن ينزعوا قلبهم الحجري من نفوسهم، أن يُدحرجوا صخرة عدم الإيمان، أن يدفعوا عنهم حجر الشكِّ الصوَّان الصلب، وذلك حتى أن نفوسهم الميتة، بخلوها من الإيمان، تندفع خارجةً من قبور قلوبهم، ولكي يفرحوا ليس بقيامة لعازر، بقدر ما يفرحون بقيامتهم هم مع لعازر. أزيلوا عبودية البشرية البائسة حتى تُضيءَ الآن أعمال اللاهوت المُبارك. ارفعوا الحجر الذي وضعتموه في مكانه حتى يمكنني الآن أن أُجدِّد الإنسان الذي وضعتُه في مكانته.

فقالت له مرثا: «يَا سَيِّدُ، قَدْ أَنْتَنَ لأَنَّ لَهُ أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ» (آية ٣٩). وهذا خطأ مَنْ، يا امرأة، حتى أنه توجد نتانة؟ إنكِ الآن تهتمين بشيء هو لكِ في الأصل، فإنكِ ما كنتِ ستشتمّين أيَّة نتانة من القبر لو كنتِ قد رفضتِ أن تستمعي للمُجرِّب في الفردوس. إنَّ ما يُسبِّب نتانةً للفاسد لا يفعل ذلك للخالق. إنَّ ما يُثير الاشمئزاز للذي يُعالج حالة شخصٍ آخر، لن يصدَّ الله الذي يحب عمله. ولكن قولكِ هذا، أيتها المرأة، يشهد للموت الذي جلبتِهِ أنتِ، وينشر النتانة حتى يصير اكتمال الموت معروفًا للحاضرين، وذلك حتى تُنسَب إقامة لعازر إلى روحه الراجعة من الجحيم، وليس إلى روحه الجاثمة حول الجسد[٢]؛ حتى تُنسَب الإقامة للقوَّة الإلهيَّة، وليس للمهارة البشرية، وحتى أنَّ اليهود الذين يقولون إننا نُخرِج الأرواح الشريرة بواسطة رئيس الشياطين لا يقولون هذه المرة إننا نُقيم الموتى بمعونةٍ بشرية وليس بسلطانٍ إلهي.

وقد ذَكَرَت مرثا الأربعة أيام، لكي يعلم الجميع أنَّ الرب هو الذي أوجد الزمن، وأنَّ الزمن لا يفرض عليه أيَّة قيود. وقول مرثا هذا يُضاعِف من اليأس، حتى يعلم الحاضرون أنه هو الله من الطريقة التي يُحيي بها الميت، وأنه هو خلاص اليائسين وباعث الحيويَّة للذين تفسد أجسادهم.

صلاة الربِّ قبل إقامة الميت:

«وَرَفَعَ يَسُوعُ عَيْنَيْهِ إِلَى فَوْقُ» (آية ٤١)، ذلك لكي يُرينا كيف نتضرَّع وليس لكي تتقوَّى نفسه بطريقة التوسُّل. لأن ذلك الذي هو على الدوام مع أبيه يرفع بصره، ولكن الآب فيه وهو دائمًا في

---

(٢) معجزتا إقامة ابنة يايروس وابن الأرملة لم تكونا خطيرتين مثل إقامة لعازر بعد أربعة أيام. ففي بعض النصوص الربِّية هناك مفهوم بأنَّ روح الميت تحوم حول الجسد لمدة ثلاثة أيام تستحيل بعدها أيَّة قيامة! انظر شرح H. L. Strack للعهد الجديد من التلمود والمدراش: ٢: ٤٤٤، ٥٤٥.

الآب، إذ يقول: «... أَنَا فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ» (يو ١٤: ١٠). ثم قال الرب: «أَيُّهَا الآبُ، أَشْكُرُكَ لأَنَّكَ سَمِعْتَ لِي»، فهو يشكر على ما مُنِحَ له (وهو في الجسد) وأنَّ الآب سمع له، ولكنه لم يذكر مطلبه! أيها الإخوة، يوجد بين الآب والابن انفتاحٌ كامل للسَّمع، فلا حاجة إلى التضرُّع. إنه يوجد انسجامٌ منبثقٌ من المودَّة ويخلو من إعطاء الأوامر، فكلُّ شيء بينهما يتمُّ بالحبِّ، حيث لا حاجة للتوسُّل كما هو واضحٌ من الآية: «أَشْكُرُكَ لأَنَّكَ سَمِعْتَ لِي، وَأَنَا عَلِمْتُ أَنَّكَ فِي كُلِّ حِينٍ تَسْمَعُ لِي» (آية ٤١،٤٢). فعندما يكون لدى الابن ثقة أكيدة بخصوص الاستماع له، فلا حاجة لأن يترجَّى طلبًا. أو ما هو الداعي إلى الاستغاثة ما دامت القدرة على الاستجابة حاضرة لدى كليهما؟ إذن، فلا يُقلِّل أحدٌ من مكانة الابن على أساس تلك الصلوات، ولا يُنقِص من رغبة الآب في خلاص البشر.

ولكن، لماذا تكلَّم الابن بهذه الطريقة؟ ذلك لكي يُظهِرَ الدالة بينه وبين الآب، فهو يُظهِر الاعتراف بفضل الآب ويتكلَّم عن وحدتهما معًا. فقد قال: «كُلُّ مَا لِلآبِ هُوَ لِي» (يو ١٦: ١٥). ولكن إذا كان كلُّ شيء مِلْكًا له، فلماذا يلتمس طلبًا؟ **إنه عندما يلتمس الابن ما هو له بالفعل، فإنَّ الطلب يتحقَّق ليس بسبب أيِّ احتياج، بل من أجل الحب!**

«وَأَنَا عَلِمْتُ أَنَّكَ فِي كُلِّ حِينٍ تَسْمَعُ لِي. وَلكِنْ لأَجْلِ هذَا الْجَمْعِ الْواقِفِ قُلْتُ، لِيُؤْمِنُوا أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي» (آية ٤٢). قال المسيح ذلك لكي يعلم الناس أنه جاء من السماء ولكنه لم يُغادر السماء (بحسب لاهوته)، ولأنه مُرسَلٌ من الآب فهو أيضًا يتلقَّى ما هو له بالفعل تمامًا كما لو أنه لم يترك المكان الذي جاء منه، وفي نفس الوقت لا يفقد الآب ما يُعطيه.

أيها الإخوة، كَوْن الرب يسوع يُسمَع له، وكونه أُرسِل، وكونه جاء، وكونه يأخذ، وكونه يُولَد، وكونه يتألَّم، وكونه يموت ثم يقوم؛ كل ذلك وقع على الطبيعة البشرية الضعيفة التي اتَّحد لاهوته بها. وعلى ذلك، فإنَّ كل ما تحمَّله (الرب) من أجلنا في جسده، احتمله ليس من أجل نفسه في جلاله (وإنما من أجلنا).

وما الذي يعنيه الرب بقوله: «أَشْكُرُكَ لأَنَّكَ سَمِعْتَ لِي»؟ عندما بدأ المسيح يخترق أبواب العالم السُّفلي، ويقتحم أبواب الجحيم، ويشقُّ مدخل الموت، ويُلاشي ناموس جهنم القديم، ويُبطل أحقيَّة العقاب العتيق، ويأمر برجوع روح لعازر، واجهته قوَّة الجحيم بكلِّ غضبها، وهي تُلوِّح بمنشور حاكم السماء، حاملةً قرار الملك العَلي، مُقدِّمةً الحُكْم الذي خرج من فم الله وأصبح أمرًا نافذ المفعول لسنين عديدة. فلمَّا رأى الجحيمُ **المسيحَ،** سأل: "مَن هو هذا؟ وماذا كانت مقاصده؟ وما هو غرضه؟ ولماذا كان بمفرده يتحدَّى بلا خوف ويُهاجم باب الموت المُخيف"؟

فأجاب الملائكة خُدَّام القيامة بكلمات النبي: «هُوَ مَلِكُ الْمَجْدِ... الرَّبُّ الْقَدِيرُ الْجَبَّارُ فِي الْقِتَالِ» (مز ٢٤: ٨،١٠). ولكن العالم السُّفلي قال: "أنا أعلم أنَّ ملك المجد مسؤولٌ في السماء عن جميع القوات السمائية، والخليقة كلها غير قادرة أن تُقاوم مشيئته. ولكن هذا الذي أراه إنما هو أحد الأرضيين، مخلوقٌ ومحصورٌ في جسدٍ مائت، وهو في حالته البشرية أحقر من البشر، وهو سيُسلَّم حالًا للقبر، ومصيره أن يكون سريعًا تحت سلطاني"!

إلَّا أنَّ الملائكة ظلُّوا مُصرِّين بقولهم: "«رَبُّ الْجُنُودِ هُوَ مَلِكُ الْمَجْدِ» (مز ٢٤: ١٠)، هو حاكم السماء، خالق الأرض، مُخلِّص العالم، فادي الجميع ...".

ولعل الرب يسوع قال لأبيه: "يا أبي، إنه من العدل أنَّ السجن يقبض ليس على الأبرياء بل على المُذنبين، وأنَّ العقاب يُعذِّب ليس الأبرار بل الطالحين. لأنه إلى متى يستمر مُنفِّذ حُكْم الإعدام هذا، بناءً على إثم آدم وحده، أن يسحب إلى الهاوية – بعنفه القاسي – آباء وأنبياء وشهداء ومعترفين وعذارى وأرامل والذين عاشوا في عفَّة الزواج، أُناسًا من جميع الأعمار من كِلَا الجنسين وحتى أطفالًا صغارًا لا يعرفون الخير أو الشر؟ يا أبي، إنني سوف أموت حتى لا يموت الكل. إنني سوف أدفع دين آدم، وذلك حتى أنه بواسطتي فإنَّ الذين يموتون بسبب آدم في العالم السُّفلي يُحْيَون لأجلك أنت. يا أبي، بناءً على حُكْمك سوف أسفك دمي حتى ترجع خليقتك إليك، لكي يكون ثمن دمي، الذي هو عزيزٌ لديك، فداءً لجميع الموتى"!

وهكذا اتفق الثالوث القدوس على ذلك، وأَمَرَ لعازر بُمغادرة العالم السُّفلي الذي أُمِرَ أن يطيع المسيح بإعادة جميع الموتى. ولهذا السبب قال الابن: «أَيُّهَا الآبُ، أَشْكُرُكَ لأَنَّكَ سَمِعْتَ لِي». وهكذا يشهد الإنجيلي أنَّ المسيح هو المحامي عنَّا في حضرة الآب.

وهكذا اكتمل توسُّل المسيح كمحامٍ عندما «صَرَخَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ: "لِعَازَرُ، هَلُمَّ خَارِجًا"!» (آية ٤٣)، حينئذ أعاد العالم السُّفلي، بخوفٍ ورعدة، لعازر «وَيَدَاهُ وَرِجْلَاهُ مَرْبُوطَاتٌ بِأَقْمِطَةٍ» (آية ٤٤) حتى لا يُجبَر على إرجاع الجميع. لأنه إن كان الشيطان قد اعترض على ميخائيل رئيس الملائكة مُحاجًّا عن جسد موسى (يهوذا ٩)، فكيف لا يعترض العالم السُّفلي على المسيح بخصوص حياة لعازر وقيامته؟

فصلُّوا، أيها الإخوة، حتى أننا نحن الذين أخذنا رشفةً من القيامة مع لعازر، نستحق أن ننال الجرعة كلها في القيامة العامة.

الإفخارستيا
"الله معنا"

❖✠❖

أودع مخلِّصنا الصالح الكنيسة سرَّ حضوره الشخصيّ عَبْر الأجيال، بكلِّ زَخم وقوَّة الثالوث القدوس، مَعينًا لا ينضب، يرتشف منه المؤمنون بلا شبع «إِلَى أَنْ يَجِيءَ» (١كو ٢٦: ١١). وكثيرًا ما حاول علماء الكنيسة ومعلّمو الإيمان قَدحَ قرائِحهم لشرح هذا السرِّ الخفيِّ، بكلِّ مواهبهم العقليَّة، فما استطاعوا لذلك سبيلًا، إلَّا مَنْ ألهمه الثالوث القدوس بذاته بواسطة الروح القدس؛ "ولِمَ لا"! فالإفخارستيا هي سرُّ الحياة بل سر الحضور الإلهي فينا ونحن فيه، إنه **"الله معنا"**.

مراحل ما عمله الرب في الليلة التي أَسلم فيها ذاته:

يشرح الأب **متى المسكين** مراحل ما عمله الرب في الليلة التي أَسلم فيها ذاته، وهو جالسٌ مع تلاميذه القدِّيسين في علّية القدِّيس مرقس الرسول قائلًا:

[يلزمنا هنا أن نستعيد في ذهن القارئ الأعمال والأقوال التي تمَّت في "إفخارستيا" عشاء الخميس التي أقامها الرب مع تلاميذه، فصارت أساسًا مُحتَّمًا لكلِّ إفخارستيا.

العمل الأول: وهو طقسيٌّ:

فيه مارَس المسيح الطقس التقليدي المُتعارَف عليه في أيام المسيح في إقامة "وليمة المحبة"، وهو عبارة عن كَسْر خبز، ثم عشاء، ثم بركة (شكر) على الكأس، ثم تسبيح، ثم انصراف.

العمل الثاني: وهو سرائريٌّ:

فيه أعلن المسيح، بعد البركة على الخبز وكَسْره وتوزيعه، عن تحوُّل هذا الخبز إلى جسده. وكذلك بعد أن شكر على الكأس، أعلن عن تحوُّل الخمر الممزوج في الكأس إلى دمه. ثم أعطى لتلاميذه أمرًا أو وصية أن يُصنع هذا الإجراء السرائري في

كلِّ وليمة محبة ليكون "ذِكْرًا" – "ذكارون" – له. فاعتُبِرت هذه الوصية تسليمًا أبديًّا لسرِّ المسيح.

العمل الثالث: وهو سرميٌّ:

فيه شَرَح المسيح لتلاميذه ليلة العشاء، السرَّ الجديد القائم في الخبز المكسور المُتحوِّل إلى جسده، وسر الكأس الممزوج المُتحوِّل إلى دمه؛ لا كأنه مجرد حديث على العشاء، أو حديث ما بعد العشاء، ولكنه حديثٌ يشرح صميم السرِّ الذي استودعه الرب في الخبز والكأس][1].

الإفخارستيا تطرد الفساد من طبيعتنا البشرية:

أمَّا **القدِّيس كيرلس الكبير**، فهو بحقٍّ "عامود الدين" كما تُلَقِّبه كنيستنا القبطية الأرثوذكسية، فهو "مرتشدًا بالروح القدس" قد أفاض واستفاض شارحًا ومُفسِّرًا في غير موضعٍ، حتى أنه يُعتَبر المُنَظِّر العظيم للاهوت الإفخارستيا المِستيكي، مقتفيًا أثر الآباء الرُّسُل ومُعلِّمي الكنيسة الأعاظم. فنجده يُقدِّم شرحًا لتقريب الأمر للأذهان في غاية الإبداع والروعة، فيقول:

[إنَّ "الكلمة"، وهو الله وهو الحياة، عندما وحَّد بذاته الجسد الخاضع للموت، فقد طرد منه **الفساد**، بل جعله مصدرًا للحياة لكلِّ مَن يتناول منه. فلا تشكَّ فيما قلتُ، بل بالأحرى تقبَّل ذلك بإيمانٍ. وسأسوق بعض الأمثلة للتوضيح:

إن وضعتَ قطعة خبزٍ في خمرٍ أو زيتٍ أو أيِّ سائل آخر، فستجدها قد تشبَّعت بطبيعة ذلك السائل. ومثالٌ آخر: فإنَّ الحديد إذا تلامس مع النار فإنه يكتسب طبيعتها، رغم أنه لم يُغيِّر طبعه كحديد إلَّا أنه قد صار كالنار. وعلى نفس المنوال، فإنَّ كلمة الله المُعطي الحياة، لمَّا وحَّد ذاته بجسده الخاص، بطريقةٍ يعلمها هو فقط، فإنه يهبه قوَّة منح الحياة. فنحن عندما نأكل الجسد المقدَّس الذي للمسيح مخلِّصنا كلنا ونشرب دمه الكريم، فإننا ننال الحياة في ذواتنا، ونصير واحدًا معه، نثبت فيه، ونقتنيه فينا][2].

---

(١) الأب متى المسكين،"إفخارستيا عشاء الرب"، الطبعة الخامسة: ٢٠١٦، مطبعة دير القديس أنبا مقار، ص ٥.

(2) Cyril of Alexandria. *Commentary on Luke, Homily* 142, quoted in *Ancient Christian Commentaries*, NT, III, on Luke 20,22.

الثمار الإلهيَّة للإفخارستيا:

ويلتقط **العلَّامة أوريجانوس** المعاني الروحيَّة مقتفيًا جذور السرِّ الإلهي المتشعبة في أسفار الكتاب المقدَّس، لتُثمر بالثمرة الإلهيَّة الحلوة "ثمرة الإفخارستيا"، فيقول:

[إنَّ الخبز الذي أظهره الله الكلمة ليكون جسدَه، هو ذاته الكلمة المُحيي للنفوس. وما قد قُدِّم على المائدة، هو الكلمة ذاتها الخارجة من الابن الكلمة. فهو بذاتِه قدَّم ذاتَه كخبزٍ من السماء: «هَيَّأْتَ قُدَّامِي مَائِدَةً تُجَاهَ مُضَايِقِيَّ» (مز ٢٢: ٥ س)؛ والخمر الذي أظهره الله الكلمة ليكون دمه، هو الكلمة الذي يملأ القلب ويُسكره بطريقةٍ لا يُعبَّر عنها لكلِّ مَنْ يشرب منه. هذا هو الكلمة الذي تحتويه الكأس، كما هو مكتوب: «وكَأْسُكَ تُسْكِرِنِي» (مز ٢٢: ٥ س). هذا الخمر هو نتاج ثمرة الكرمة الحقيقية: «أَنَا الْكَرْمَةُ الْحَقِيقِيَّةُ» (يو ١٥: ١)، هذا هو دم العنب الذي أُعدَّ في معصرة الآلام. وبذات الكيفية، فإنَّ الخبز هو كلمة المسيح نفسه، المطحون مثل حبَّة الحنطة التي دُفِنَت في الأرض لتحيا وتأتي بثمرٍ كثير (يو ١٢: ٢٤). ليس الجسد هو مجرَّد خبز منظور قدَّمه الله الكلمة على يديه الطاهرتين، لكنه هو ذاته الخبز المكسور في سرٍّ عجيب "على الصليب"؛ وكذلك ليس دمه مجرَّد خمر منظور، لكنه السكيبة المستيكية المُهرقة لأجلنا][٣].

تقدمة ملكي صادق وخروف الفصح هما إشارة للإفخارستيا:

ويربط **القدِّيس جيروم** بين عشاء الرب يسوع مع تلاميذه في العليَّة، وملكي صادق كاهن الله العليِّ في الماضي السحيق أيام إبراهيم أبي الآباء، فيقول:

[بعد أن انتهى عشاء الفصح التقليدي الذي تناوله الرب مع تلاميذه، أَخَذ الخبز الذي يسند قلب الإنسان، فنقلهم إلى عشاء الفصح السرِّي الحقيقي. هكذا مثل ملكي صادق كاهن الله العليِّ، رمز المسيح، الذي قدَّم خبزًا وخمرًا كقربان؛ فإنَّ المسيح قدَّم ذاته، مُشيرًا إلى جسده ودمه الحقيقيَّيْن][٤].

ويُشير **القدِّيس أثناسيوس الرسولي** إلى رمزٍ آخر شديد الوضوح والقوَّة في العهد القديم للإفخارستيا، وهو خروف الفصح ودمه الذي كان سببًا لنجاة بني اسرائيل من

(3) Origen, *Commentary on Matthew* 85, GCS 38.2:196.

(4) Jerome, *Commentary on Matthew* 4.26.27, CCL 77:251.

الملاك المُهلك، فيقول:

[لقد أكل بنو اسرائيل لحم خروفٍ أعجم لإكمال الفصح، وأيضًا مسحوا عوارض أبواب البيوت. وبذلك نَجَوْا من الملاك المُهلك. أمَّا نحن فنأكل الابن الوحيد مخلِّصنا كلمة الآب، ونختم قوائم قلوبنا بدم العهد الجديد][٥].

الإفخارستيا تهبنا طبيعةً جديدة:

ويعود **القدِّيس كيرلس الكبير** ليشرح لنا مفاعيل هذا السرِّ العظيم في حياة الإنسان ليُغيِّر طبيعته التي فسدت بالسقوط في الخطية، فيكتسب الإنسان طبيعةً جديدة، فيقول:

[بعد أن غادر يهوذا الخائن المكان، أعلن المخلِّص سرَّ الخلاص للأحد عشر، ففيما كان المسيح مزمعًا أن يُرفع بعد فترةٍ قصيرةٍ حتى يظهر أمام الآب بجسده الخاص، وحتى يُقدِّم لنا جسده؛ فقد أعطانا هذا الجسد مع دمه، ليهدم أصل الفساد. لأنه بدون حضور المسيح، فإنه يستحيل الخلاص من الموت، والبشرية لا يمكن أن تتحرَّر من الخطية الساكنة فيها. عند ذاك يسكن الربُّ في نفوسنا بالروح القدس، ومِن ثمَّ نشترك في قداسته، ونصير بشرًا سماويين وحاملين اسمَ القدُّوس][٦].

الاحتراس من الشكِّ في ما هيَّة هذا السرِّ الإلهي:

إنَّ الاحتراسَ من الشكِّ في الأسرار الإلهيَّة غير المنظورة، والتي لا تخضع لرؤيا العين المادية، هو أمرٌ بالغ الأهمية، حتى لا ننزلق في جَرْف الفحص العقليِّ، لِمَا هو فوق حدود العقل والفكر الإنساني. وهذا هو الإيمان وِفق التحديد الكتابي المُنير لبصائرنا، وعيون قلوبنا: «وَأَمَّا الإِيمَانُ فَهُوَ الثِّقَةُ بِمَا يُرْجَى وَالإِيقَانُ بِأُمُورٍ لاَ تُرَى» (عب ١١: ١).

ومن هنا يشرح **القدِّيس كيرلس الكبير** كيف نَدلف إلى الإيمان القلبي، لا الفهم العقلي، بما ليس في متناول الإدراك البشري لهذا السرِّ العجيب، فيقول:

[كان مِن اللَّائق أن يسكن (الرب) فينا بلاهوته بالروح القدس. وكان أيضًا يليق أن يمزج جسده المقدَّس ودمه الكريم بأجسادنا، ذاك الذي نقتنيه بالإفخارستيا المُحيية، في شكل الخبز والخمر. ولنعلم أنَّ الربَّ، لو كان قد سمح لنا أن نرى بعيوننا لحمًا ودمًا موضوعين على المائدة المقدَّسة في كنائسنا، لكان يُصيبنا الرعب

(5) Athanasius, *Festal Letter* 4,ARL 82.

(6) Cyril of Alexandria, *Fragment* 290, MKGK 256.

والاشمئزاز. لذلك تنازَل لضعفنا وبثَّ في الأشياء الموضوعة على المائدة قوَّة الحياة، حتى يُحوِّل هذا الخبز والخمر لمفاعيل جسده الخاص. حتَّى أننا بنوالهما، نحظى بالشركة المُحيية. من أجل ذلك قال صراحةً: "هذا هو جسدي، هذا هو دمِي". فاقبل، يا أخي، كلمة الربِّ بإيمان؛ فإنه هو الحق، وليس فيه كذب. لأنه مستحقُّ الإكرام والتمجيد. والحكيم يوحنا يقول: «وَمَنْ قَبِلَ شَهَادَتَهُ فَقَدْ خَتَمَ أَنَّ اللَّهَ صَادِقٌ، لأَنَّ الَّذِي أَرْسَلَهُ اللَّهُ يَتَكَلَّمُ بِكلاَمِ اللَّهِ» (يو ٣: ٣٣ – ٣٤). فكلمات الربِّ صادقَة، ويستحيل أن تتزيَّف، على الرغم من أننا لا نفهم كيف يعمل الرب ذلك، لكنه هو ذاتُه يعلم ما يفعل][٧].

وقد أوجز لنا **القدِّيس كيرلس الأورشليمي** تعليم القدِّيس بولس الرسول حامل البشارة للأُمم، والذي تسلَّمه من الربِّ ذاته، ومُسلِّمًا إيَّانا تعليمه الخلاصي عن الإفخارستيا، حتى لا يتسرَّب إلى فكر أيِّ أحدٍ شكٌّ في ما هيَّة هذا السر الإلهي العجيب، بقوله:

[إنَّ تعليم القدِّيس بولس الرسول: «لأَنِّنِي تَسَلَّمْتُ مِنَ الرَّبِّ مَا سَلَّمْتُكُمْ أَيْضًا: إِنَّ الرَّبَّ يَسُوعَ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي أُسْلِمَ فِيهَا أَخَذَ خُبْزًا وَشَكَرَ، فَكَسَّرَ وَقَالَ: "خُذُوا كُلُوا هَذَا هُوَ جَسَدِي الْمَكْسُورُ"» (١كو ١١: ٢٤)، قد أعطانا صورةً وتعليمًا شاملين عن الأسرار الإلهيَّة، وبالتحديد سر الشكر، وهذا كافٍ للإيمان القلبي والتسليم: كيف نصبح نحن جسدًا ودمًا واحدًا مع المسيح؟ فالسيِّد بذاته قد صرَّح بوضوح أنَّ: "هذا هو جسدي" عن الخبز، فهل يجرؤ أيُّ أحدٍ أن يشكَّ في قوله هذا! وهو – له المجد – ضامنٌ لصدق كلامه. وعندما يُصرِّح: "هذا هو دمي"، فهل يشكُّ أو ينحرف أحدٌ ليقول إنَّ هذا ليس دمه الكريم! نحن نثق ثقةً تامة في كلامه المُحِيي عندما نشترك في جسد الرب ودمه الأقدسَيْن][٨].

ويؤَمِّن **القدِّيس أمبروسيوس** أسقف ميلان على كلمات القدِّيس كيرلس الأورشليمي بنفس المعنى، رغم اختلاف العصر الذي عاش فيه، ورغم اختلاف المكان. فالأول من الغرب، والثاني من أورشليم شرقًا؛ إلَّا أنَّ الروح واحدٌ والتسليم الرسولي المُنحدر من جيلٍ إلى جيل هو هو ذاته، كما تسلَّمه الرُّسل والآباء من الربِّ نفسه، فيقول:

(7) Cyril of Alexandria, *Commentary on Luke, Homily* 142,CGSL 571.
(8) Cyril of Jerusalem, *On the Mysteries, Fourth Lecture,* FC 64:181.

[قبل النُّطق بكلمات المسيح، فإنَّ الكأس تحتوي على مجرَّد خمرٍ وماء، ولكن حينما تُقال عليها كلمات المسيح فإنها تكتسب فاعلية دم المسيح لفداء البشر؛ لذا يتوجَّب عليك أن تعتبر بكلِّ إيمانٍ وتوقيرٍ أنَّ كلمة الرب قادرةٌ أن تُغيِّر كلَّ شيء، كما شهد الرب بذاته أننا في تلك اللحظة ننال جسده ودمه. فهل يوجد مجالٌ بعد ذلك لأيِّ شكٍّ في الإيمان بكلمات الرب له كل المجد!][٩].

وهكذا نرى أنَّ الربَّ يسوع، وقد أحب خاصَّته الذين في العالم، فتجسَّد من أجلهم، قد أفرغ لنا خُلاصة حبِّه الذي يفوق كلَّ عقل في كأسٍ من الخمرِ وخبزةٍ صغيرة، ليغترف منها البشرُ على مَدى الدهور حبًّا وخلاصًا وغفرانًا للخطايا، وسلامًا وشركةً أبدية تدوم بلا انفصال، وليكون هو دائمًا وأبدًا **"الله معنا"**.

(9) Ambrose, *The Sacraments* 4.23, FC 44: 305.

****

دير القدّيس أنبا مقار

صَدَرَ حديثًا **من إعداد: رهبان دير القدِّيس أنبا مقار**

صوموا مع المخلِّص

لتتمجَّدوا معه

[وهو عبارة عن كلمات أُلقيت على المُبتدئين بدير القدِّيس أنبا مقار في "صوم يونان" وفي "الصوم الكبير" على مدى عدَّة سنوات.

ويحتوي الكتاب على الكلمات التالية: صوم يونان "آية يونان"؛ والمدخل إلى الصوم الكبير: الشركة مع الرب في صومه لأجلنا، الصوم المقدَّس وكيف يدخله الراهب؟ كيف نسلك في الصوم المقدَّس؟ المعنى العميق لعبارة "الصوم والصلاة"، المسيح في صلاته لأجلنا؛ ثم أناجيل آحاد الصوم الكبير: الأحد الأول، والثاني، والثالث، والرابع، والسادس؛ وجمعة ختام الصوم وسبت لعازر كمُقدِّمة لأسبوع الآلام].

والكتاب ١٩٢ صفحة (من القَطْع المتوسط)

****

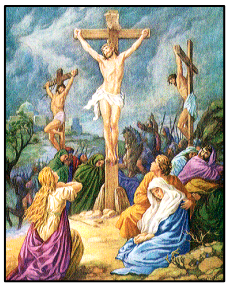

الصليب واللص اليمين

للقدّيس يوحنا ذهبي الفم
(٣٥٤ – ٤٠٧م)[١]

❖✠❖

بعد أن تكلَّم القدّيس يوحنا ذهبي الفم عن احتفالنا بالصليب الذي تمَّ عليه خلاصنا، وعن سبب تقديم ذبيحة الصليب خارج المدينة المقدَّسة، وأنَّ الصليب فَتَحَ لنا الفردوس بعد أن كان مُغلقًا، وأنَّ المصلوب المحكوم عليه بالإعدام وُعِدَ بالفردوس، وألَّا نخجل من اتِّخاذ اللص اليمين مُعلِّمًا لنا؛ واصل **القدّيس ذهبي الفم** كلامه قائلًا:

اعتراف اللص اليمين بتعدِّياته:

ثم أسكت اللصُ اليمين اللصَ الآخر بقوله: «أَوَلَا أَنْتَ تَخَافَ اللهَ، إِذْ أَنْتَ تَحْتَ هذَا الْحُكْمِ بِعَيْنِهِ؟» (لو ٢٣: ٤٠)، أوَ لستَ أنت أيضًا على الصليب؟ فعندما تُوبِّخ الرب تدين نفسك بدلًا منه. وهذا تمامًا كما إنَّ ذاك الساقط في خطيئة ويدين إنسانًا آخر، فهو يدين نفسه وليس الآخر؛ هكذا أيضًا فإنَّ ذاك الذي في محنة ويُوبِّخ الآخر في محنته، فهو يُوبِّخ نفسه وليس غيره. لقد رجع اللص اليمين إلى وصية الرب: «لَا تَدِينُوا لِكَيْ لَا تُدَانُوا» (مت ٧: ١). ماذا تفعل أيها اللص؟ فبينما أنت تحاول أن تُدافع عن الرب، جعلته زميلًا في اللصوصية؟ فيقول: "كلَّا، إنني سوف أُصحِّح هذا المفهوم بما يأتي: لأنه حتى لا تظنُّوا أنه بقولي إننا تحت العقوبة ذاتها مثل المسيح، جعلتُ المسيح مُشارِكًا لنا في خطايانا؛ فقد أضفتُ مُصحِّحًا قولي: «أَمَّا نَحْنُ فَبِعَدْلٍ (جوزينا)، لأَنَّنَا نَنَالُ اسْتِحْقَاقَ مَا فَعَلْنَا» (لو ٢٣: ٤١)".

أَتَرَوْنَ اعترافه الكامل؟ أَتَرَوْنَ كيف أنه على الصليب جرَّد ذاته من خطاياه؟ لأنه مكتوبٌ: «اعترف أولًا بتعدِّياتك لكيما تتبرَّر» (إش٤٣: ٢٦ سبعينية). لم يُجبره أحدٌ، لم يُقيِّده أو يُكرهه أحدٌ، ولكنه فضح نفسه قائلًا: «لأَنَّنَا نَنَالُ اسْتِحْقَاقَ مَا فَعَلْنَا، وَأَمَّا هذَا فَلَمْ يَفْعَلْ

---

(١) عن مجلة: The Orthodox Word, 2012. والنص الآبائي مأخوذ من: PG 49, 399-408.
ألقى القدّيس يوحنا ذهبي الفم هذه العظة يوم الجمعة العظيمة في إحدى سنوات القرن الرابع غير المعروفة.

شَيْئًا لَيْسَ فِي مَحَلِّهِ» (لو ٢٣: ٤١)، ثم قال: «اذْكُرْنِي يَا رَبُّ مَتَى جِئْتَ فِي مَلَكُوتِكَ» (لو ٢٣: ٤٢). إنه لم يستطع أن يقول ذلك إلَّا بعد أن ألقى عنه ثقل خطاياه.

أَتَرَوْن كم أنَّ الاعتراف بالخطيئة ثمينٌ؟ لقد اعترف وفَتَح الفردوس. وبعد أن اعترف صار واثقًا أنه بمجرد أن نَبَذَ حياة اللصوصية، طلب الملكوت. أترون كم من الخير يجلبه الصليب لنا؟ هل يُذكِّركم ذلك بالملكوت؟ أخبروني، ما هو الذي تَرَوْنَ أنه يذكِّركم؟ إننا نرى المسامير والصليب، ولكن يُقال إنَّ الصليب ذاته رمزٌ للملوكية. ولهذا السبب أُسمِّي المسيح مَلِكًا منذ أن رأيتُه مصلوبًا، لأنه من اللائق أن يموت الملك من أجل رعيته. لقد قال هو نفسه: «الرَّاعِي الصَّالِحُ يَبْذِلُ نَفْسَهُ عَنِ الْخِرَافِ» (يو ١٠: ١١). وهكذا، فإنَّ الملك الصالح أيضًا يضع حياته من أجل شعبه. وطالما أنه وضع حياته، فإنني أُسمِّيه مَلِكًا: «اذْكُرْنِي يَا رَبُّ مَتَى جِئْتَ فِي مَلَكُوتِكَ»!

الصليب رمزٌ للملكوت:

أَتَرَوْنَ كيف أنَّ الصليب هو أيضًا رمزٌ للملكوت؟ أتريدون أن تفهموا الصليب من ناحية أخرى أيضًا! إنَّ المسيح لم يترك الصليب على الأرض، بل أخذه وأصعده إلى السماء. ممَّ يتضح ذلك؟ من حقيقة أنه سوف يأتي به في مجيئه الثاني المجيد، لكي تُدركوا كم أنَّ الصليب شيءٌ مقدَّس، حيث سمَّاه هو أيضًا "مجدًا". ولكن هَلُمَّ نرى كيف أنه سوف يجيء بالصليب، لأنه من الضروري أن نُظهِر الدليل: فقد قال المسيح: «فَإِنْ قَالُوا لَكُمْ: هَا هُوَ فِي الْبَرِّيَّةِ فَلَا تَخْرُجُوا !هَا هُوَ فِي الْمَخَادِعِ فَلَا تُصَدِّقُوا!» (مت ٢٤: ٢٦). لقد قال ذلك بخصوص مجيئه الثاني المملوء مجدًا، وذلك بسبب المُسحاء الكَذَبَة والأنبياء الكَذَبَة، بسبب الضدِّ للمسيح، وذلك حتى لا يُضلَّل أحدٌ ويُخدَع. فحيث إنَّ الضدَّ للمسيح يأتي قبل المسيح، وحتى إنه عندما يبحث أحدٌ عن الراعي لا يقع فريسة للذئب، لهذا السبب ها أنا أُخبركم بعلامة مجيء الراعي.

وحيث إنَّ مجيئه الأول كان مخفيًّا (لأنه أخلى ذاته من مجد لاهوته، آخذًا صورة إنسان)، فحتى لا تظنُّوا أنَّ مجيئه الثاني سيكون أيضًا هكذا، فقد أعطى هذه العلامة. من المناسب أن يكون مجيئه الأول مخفيًّا، لأنه جاء ليطلب مَنْ كان مفقودًا؛ أمَّا مجيئه الثاني، فلن يكون مثل الأول. ولكن أخبروني: كيف سيكون (مجيئه الثاني)؟ «لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الْبَرْقَ يَخْرُجُ مِنَ الْمَشَارِقِ وَيَظْهَرُ إِلَى الْمَغَارِبِ، هكَذَا يَكُونُ أَيْضًا مَجِيءُ ابْنِ الإِنْسَانِ» (مت ٢٤:

٢٧). إنه سوف يظهر لكلِّ أحدٍ في وقتٍ واحدٍ، ولن يحتاج أحدٌ أن يسأل إن كان المسيح هنا أم هناك! تمامًا كما إنَّ ضوء البرق عندما يظهر، لا نحتاج أن نمعن النظر لنرى إن كان ذلك قد حدث أم لا؛ هكذا عندما يتمُّ مجيء المسيح الثاني لن نحتاج أن نفحص إن كان قد جاء أم لا. ولكن السؤال هو: إن كان سيأتي ومعه الصليب؟ فدعونا ألَّا ننسى ما وعدنا به الرب قائلًا إنه عندما يأتي: «وَلِلْوَقْتِ ... تُظْلِمُ الشَّمْسُ، وَالْقَمَرُ لَا يُعْطِي ضَوْءَهُ»، وحينئذٍ سيوجد فيض من الضوء حتى إنَّ أكثر النجوم سطوعًا سوف تختفي عن الأنظار: «وَالنُّجُومُ تَسْقُطُ مِنَ السَّمَاءِ ... وَحِينَئِذٍ تَظْهَرُ **عَلَامَةُ ابْنِ الإِنْسَانِ فِي السَّمَاءِ**» (مت ٢٤: ٢٩و٣٠). أَتَرَوْنَ كم أنَّ عَلَم (أو راية) الصليب عظيمة؟ الشمس سوف تُظْلِم والقمر لن يكون مرئيًّا، أمَّا الصليب فسوف يظهر ويشعُّ حتى تُدركوا أنه أكثر سطوعًا من الشمس والقمر.

وكما إنَّ الملك عندما يدخل مدينة، يتقدَّمه الجنود حاملين أعلامه على أكتافهم مُعلنين مُسْبقًا عن مجيئه؛ هكذا أيضًا عندما ينزل الرب من السماء، تتقدَّمه جيوش الملائكة ورؤساء الملائكة، حاملين علامة الصليب على أكتافهم، حاملين لنا أنباء مجيئه الملكي. كما إنه قال بخصوص الملائكة: «وَقُوَّاتُ السَّمَوَاتِ تَتَزَعْزَعُ» (مت ٢٤: ٢٩). وحينئذ يحلُّ بهم رعبٌ وخوفٌ عظيمان. ولكن لماذا؟ لأن الدينونة سوف تكون مُخيفة، لأن جنسنا البشري كله سوف يُؤتَى به أمام القاضي المخوف ويُحاكَم.

ولكن لماذا سوف يظهر الصليب حينذاك؟ لماذا سيأتي الرب ومعه الصليب؟ إنَّ رمز وقاحة الذين صلبوه، هذا سوف يظهر حتى يُدركوا أنه بعنادهم كان ينقصهم الفهم، ولكي تعلموا إن كان هو سيأتي بالصليب، لهذا السبب استمعوا للنبوَّة القائلة: «وَحِينَئِذٍ تَنُوحُ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ» (مت ٢٤: ٣٠؛ رؤ١: ٧)؛ إذ يُبصرون الذي اتهموه ويتعرَّفون على خطيئتهم. ولماذا تتعجَّبون لمجيئه آتيًا بالصليب، طالما أنه سوف يُظهِر جروحه؟ لأن النبي يقول: «فَيَنْظُرُونَ **إِلَيَّ**، الَّذِي طَعَنُوهُ» (زك ١٢: ١٠). وكما فعل الرب مع توما، بعد قيامته، عندما أراد أن يُقوِّم شكَّ تلميذه، فقد أَظْهَر له أماكن المسامير وجروحه قائلًا: «هَاتِ إِصْبِعَكَ ... وَهَاتِ يَدَكَ وَضَعْهَا فِي جَنْبِي» (يو ٢٠: ٢٧)، «فَإِنَّ الرُّوحَ لَيْسَ لَهُ لَحْمٌ وَعِظَامٌ» (لو٢٤: ٣٩)؛ فبنفس الطريقة سوف يُظهِر جروحه وصليبه في ذلك الوقت لكي يُثبت أنه هو الذي صُلِبَ!

أَظْهَر حبَّه بكلماته على الصليب:

إلَّا أنه ليس بواسطة الصليب وحده، بل أيضًا بواسطة كلمات الرب على الصليب، أَظْهَر

حبَّه الذي لا يُنطق به للبشرية. لقد سُمِّر على الصليب واستهزأوا به وبصقوا عليه، ومع ذلك قال: «يَا أَبَتَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ لأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ» (لو ٢٣: ٣٤). فقد صلَّى من أجل الذين صلبوه رغم قولهم عنه: «فَلْيَنْزِلِ الآنَ عَنِ الصَّلِيبِ فَنُؤْمِنَ بِهِ!» (مت ٢٧: ٤٢). ولكن لأنه بالذات هو ابن الله لم ينزل عن الصليب، حيث إنه جاء لكي يُصلَب من أجلنا!

ولكن قولهم: «فَلْيَنْزِلِ الآنَ عَنِ الصَّلِيبِ فَنُؤْمِنَ بِهِ!»، لم يكن سوى كلام وحجَّة لعدم إيمانهم. لأن كونه يقوم من القبر الذي خُتِمَ بحجرٍ، لَهو أمرٌ أعظم بكثير من نزوله عن الصليب. وإنه لَأمرٌ أعظم بكثير أن يُقيم من القبر لعازر بعد أربعة أيام وهو مقيَّدٌ بأكفانه من نزوله عن الصليب. كما إنهم قالوا: «خَلِّصْ نَفْسَكَ !إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ» (مت ٢٧: ٤٠)، ولكنه عمل كلَّ شيء لكي يُخلِّص الذين كانوا يُعيِّرونه: «يَا أَبَتَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ». وما الذي حدث؟ هل غفر لهم هذه الخطيئة؟ لو كانوا راغبين في التوبة، لكان قد غفر لهم. ولو لم يغفر لهم هذه الخطيئة، لَما صار بولس رسولًا. لو كان لم يغفر لهم، لَما جاء إلى الإيمان في الحال آلاف (بواسطة عظة بطرس الرسول)، ثم عشرات الألوف. فبخصوص آلاف اليهود الذين آمنوا، اسمع قول الرُّسُل لبولس الرسول: «أَنْتَ تَرَى أَيُّهَا الأَخُ كَمْ يُوجَدُ رَبْوَةً مِنْ الْيَهُودِ الَّذِينَ آمَنُوا» (أع ٢١: ٢٠).

إذن، فلنتشبَّه بمُعلِّمنا ولنُصَلِّ من أجل أعدائنا، فبينما كان مصلوبًا تكلَّم مع أبيه من أجل صالبيه. وربما يقول أحدٌ: "كيف يمكنني أن أتشبَّه بالسيِّد"؟ يمكنك ذلك لو أردتَ. ولو لم يكن مُمكنًا أن نتشبَّه به، فلماذا قال: «تَعَلَّمُوا مِنِّي، لأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعُ الْقَلْبِ» (مت ١١: ٢٩)؟ ولِمَا قال بولس الرسول: «كُونُوا مُتَمَثِّلِينَ بِي كَمَا أَنَا أَيْضًا بِالْمَسِيحِ» (١كو ١١: ١)! وإن لم تريدوا أن تتشبَّهوا بسيِّدكم، فتشبَّهوا بزميلكم خادم الرب اسطفانوس الذي تشبَّه بالسيِّد. لأنه كما إنَّ المسيح في وسط صالبيه تغاضى عن آلامه وعن منفعته الشخصيَّة وتوسَّل لأبيه من أجل صالبيه؛ هكذا أيضًا العبد (اسطفانوس) في وسط الذين كانوا يُرجمونه لم يأبه بآلامه وقال: «يَا رَبُّ، لَا تُقِمْ لَهُمْ هذِهِ الْخَطِيَّةَ» (أع ٧: ٦٠). أَتَرَوْنَ كيف نطق ابن الله؟ وكيف نطق العبد؟ وهو لم يُصلِّ بشغفٍ بينما كان يُرجَم حتى الموت فحسب؛ بل إنه «جَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَصَرَخَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ» طالبًا لهم المغفرة بشفقةٍ عظيمة.

وهناك خادمٌ آخر أيضًا تألَّم أكثر من ذلك هو الرسول بولس الذي قال: «مِنَ الْيَهُودِ

خَمْسَ مَرَّاتٍ قَبِلْتُ أَرْبَعِينَ جَلْدَةً إِلَّا وَاحِدَةً، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ضُرِبْتُ بِالْعِصِيِّ، مَرَّةً رُجِمْتُ ... لَيْلًا وَنَهَارًا قَضَيْتُ فِي الْعُمْقِ» (٢كو ١١: ٢٤و٢٥). ومع ذلك فقد قال: «كُنْتُ أَوَدُّ لَوْ أَكُونُ أَنَا نَفْسِي مَحْرُومًا مِنَ الْمَسِيحِ لأَجْلِ إِخْوَتِي أَنْسِبَائِي حَسَبَ الْجَسَدِ» (رو ٩: ٣). أتريدون أن تَرَوْا شخصًا آخر من العهد القديم مِمَّن يُتعجَّب لهم؟ إنه بلغ إلى الفضيلة الرسولية مع إنه لم يتلقَّ وصية محبة الأعداء بل وصية عين بعين وسنّ بسنٍّ، وأن يُقابل الشر بالشر (خر ٢١: ٢٤و٢٥). استمع لِمَا قاله موسى النبي الذي اضطهده اليهود: «وَالآنَ إِنْ غَفَرْتَ خَطِيَّتَهُمْ، وَإِلَّا فَامْحُنِي مِنْ كِتَابِكَ الَّذِي كَتَبْتَ» (خر ٣٢: ٣٢). أَتَرَوْنَ أنَّ كلَّ واحدٍ جعل خلاص الآخرين قبل خلاصه؟ إنك لم تُخطئ (يا موسى)، فلماذا تريد أن تُشاركهم في العقاب؟ إنه يقول: "لأنني لا أشعر بالسعادة قط عندما يتألَّم الآخرون"!

وفي العهد القديم أيضًا، عندما قام الجيش كله ضد داود النبي المُبارك الوديع وسلَّحوا ابنه أبشالوم ومنحوه سُلطةً فائقةً، أرادوا أن يقتلوا داود، فغضب الله وأرسل ملاكًا بسيفه المسلول وسمح بضربةٍ من فوق. ولمَّا رأى داود الناسَ مقتولين قال: «هَا أَنَا (الراعي) أَخْطَأْتُ وَأَنَا أَذْنَبْتُ، وَأَمَّا هؤُلَاءِ الْخِرَافُ فَمَاذَا فَعَلُوا؟ فَلِتَكُنْ يَدُكَ عَلَيَّ وَعَلَى بَيْتِ أَبِي» (٢صم ٢٤: ١٧). أَتَرَوْنَ مرَّةً أخرى نفس أنواع التصرُّفات الفاضلة؟

أخبروني، إذن، أيُّ نوعٍ من المغفرة نريد أن نحصل عليه؟ الربُّ وخدَّامه في العهدين جميعهم يدفعوننا إلى أن نصلِّي من أجل أعدائنا، في حين أننا نفعل العكس ونصلِّي ضدَّهم! وبقدر كثرة عدد الأمثلة التي أمامنا، بقدر ما تكون العقوبة إن لم نقتدِ بتلك الأمثلة. صلاتنا من أجل أعدائنا إنما هي أمرٌ أعظم من الصلاة من أجل أحبَّائنا، كما إنه ليس من النافع لنا أن نصلِّي من أجل أحبَّائنا مثلما نصلِّي من أجل أعدائنا. والربُّ يقول: «لأَنَّهُ إِنْ أَحْبَبْتُمُ الَّذِينَ يُحِبُّونَكُمْ، فَأَيُّ أَجْرٍ لَكُمْ؟ أَلَيْسَ الْعَشَّارُونَ أَيْضًا يَفْعَلُونَ ذلِكَ؟» (مت ٥: ٤٦)؟ فإذا صلَّينا من أجل أحبَّائنا، فلا نكون بعد قد صرنا أفضل من الوثنيين والعشَّارين. أمَّا إذا أحببنا أعداءنا، فنصير مثل الله بقدر إمكانية الإنسان. فدعونا، إذن، نصير مثل الآب، لأن الربَّ قال: «لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَوَاتِ» (مت ٥: ٤٥)، وذلك لكي نكون مستحقِّين لملكوت السموات، بنعمة الرب ومحبة البشر التي لمُخلِّصنا يسوع المسيح الذي له المجد إلى الأبد، آمين.

آلام الرب

✠ ✙ ✠

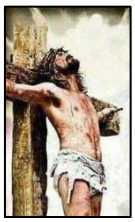

لسان حال المسيح يوم الصليب:

ما جاء في مز ١٠٢، كان هو لسان حال المسيح يوم الصليب:

«أَشْبَهْتُ قُوقَ البريَّة. صِرْتُ مِثْلَ بُومَةِ الْخِرَبِ. سَهِدْتُ وَصِرْتُ كَعُصْفُورٍ مُنْفَرِدٍ عَلَى السَّطْحِ» (مز ١٠٢: ٦ و٧). ومع إنَّ المسيح مُشبَّهٌ في الكتاب بالنَّسر القوي (خر ١٩: ٤)، وبالحمام الطاهر (لا ٥: ١١)؛ لكنه هنا يُشبَّه بالطيور التي تُشير إلى البؤس والحزن. لقد ذهب الضياء من العينين، والجمال من الوجه، وذلك بسبب ما تعرَّض له من صوم، وتنهُّد، وسهاد، وعار، ووحدة، وعداوة، حتَّى قيل عنه إنَّه «كَانَ مَنْظَرُهُ كَذَا مُفْسَدًا أَكْثَرَ مِنَ الرَّجُلِ، وَصُورَتُهُ أَكْثَرَ مِنْ بَنِي آدَمَ» (إش ٥٢: ١٤). بمعنى أنَّ منظره كان مُشوَّهًا بحيث لا يُشبه منظر إنسانٍ إلَّا قليلًا، وشكله بالكاد يُشبه ابن آدم، أي قد ذهبت مَعَالِم وجهه.

يذكُر المزمور ثلاثة تشبيهات من الطيور: قوق البريَّة، وبومة الخِرَب، وعصفور منفرد.

قوق البريَّة، أو البجع: هو أشدُّ الطيور عبوسة وكآبة. وهو صورة رمزية للشخص المكتوب عنه: «رَجُلُ أَوْجَاعٍ وَمُخْتَبِرُ الْحَزَنِ» (إش ٥٣: ٣). ثمّ إنَّ القوق طائر يلذُّ له العيش في الماء، فماذا تكون حالته لو أُخِذَ من الماء إلى البريَّة؟! أي إلى ظروفٍ عكس التي اعتاد عليها تمامًا. هكذا كان ربنا المعبود على هذه الأرض، لقد أتى من السماء حيث القداسة والنور والحب، إلى عالمٍ غريب مختلف عن طبيعته كل الاختلاف، حيث الظلمة والبُغضة والشرّ. كان الرَّبُّ في وسط عالمٍ لم يفهمه فيه أحد[١].

بومة الخِرَب: تسكن عادةً في الخِرَب والأماكن المهجورة، كما إنَّها طائرٌ مُتجهِّم وحزين ولا يمكن أنْ يكون فَرِحًا، ومعروفة بشكلها المُنفِّر و الذميم. والمسيح كان في نظر أُمَّته «لَا صُورَةَ لَهُ وَلاَ جَمَالَ فَنَنْظُرَ إِلَيْهِ، وَلاَ مَنْظَرَ فَنَشْتَهِيَهُ» (إش٥٣: ٢)، «وَكَمُسَتَّرٍ عَنْهُ وُجُوهُنَا» (إش ٥٣: ٣)؛ أي كمَنْ يستر الناس وجوههم عن رؤيته لئلا تتأذَّى من منظره المُفجع!

---

(١) انظر: لو٢: ٤٨ – ٤٩؛ يو ١٤: ٩؛ لو ٢٢: ٣٥ – ٣٨.

عصفور منفرد على السطح: العصفور بطبيعته كائنٌ اجتماعيٌّ، ينتظر أليفه على السَّطح، يتألم وينوح إذا فَقَدَ رفيقه، وكم يكون حزنه عند شعوره بالانفراد والعُزلة. وكم كان حزن ربنا يسوع واكتئابه، فعند القبض عليه تركه تلاميذه الأحبَّاء وهربوا، وفوق الصليب اختبر ترك الآب القدوس للبشريَّة الخاطئة التي كان هو يُمثِّلها، فيا لرهبة هذه العُزلة الانفرادية!! فقد تمَّت فيه كلمات النبوَّة: «انْتَظَرْتُ رِقَّةً فَلَمْ تَكُنْ، وَمُعَزِّينَ فَلَمْ أَجِدْ» (مز ٦٩: ٢٠). في كلِّ حياته، كان المسيح مثل قوق البريَّة. وفي جثسيماني وجبّاثا، حيث حُوكم على أيدي البشر وأُهين، كان مثل بومة الخِرَب. وأخيرًا في الجلجثة، كان كعصفورٍ منفردٍ على السطح!!

قبول المسيح مشيئة الآب بكلِّ طاعةٍ:

ما أعظم سيِّدنا وهو مُتقبِّل كلَّ شيء من يدَي الآب بلا تردُّد، بل بكلِّ خضوعٍ وإصرار! ما أجمله وهو يسأل، مُستنكرًا ما فعله بطرس يوم أمسك سيفه: «الْكَأْسُ الَّتِي أَعْطَانِي الآبُ أَلاَ أَشْرَبُهَا؟» (يو١٨: ١١)! "أَلا تعلم أنه مستحيلٌ، يا بطرس، أن أرفض شيئًا للآب حتى الكأس"؟ لم ينظر الرب إليها كبليَّة خطايانا وإن كانت كذلك، لكنَّه قدَّرها كعطية وهدية من آبٍ عظيم لابنٍ مجيد في كمال التناغُم البديع معه على طول الطريق: «الْكَأْسُ الَّتِي أَعْطَانِي الآبُ».

ما أجودك، سيِّدي، وأنت تشرب كأس خطايانا وتُفرغها عن آخرها! ما أمجدك يوم لم تَرُدَّ الكأس فارغة، ولكن رددتها للآب ملآنة بالأمجاد. فمجَّدتَ الآب يوم أكملتَ العمل، فأقامك الآب بمجده (يو ١٧: ١-٥؛ رو ٦ : ٤)! لقد قَبِل المسيح مشيئة الآب بكلِّ طاعةٍ، إذ كان يعلم أنَّ موته وحده فيه تمجيدٌ للآب، وفيه خلاص الإنسان. في حياته مجَّد الآب بعَمَله الصَّلاح الذي لم يعمله الإنسان، وفي موته مجَّده بتحمُّله عقوبة الشرِّ الذي لم يعمله هو، وفي الحالتين كان يفعل مشيئة الآب الذي أرسله.

يقول بولس الرَّسول: «الَّذِي بَذَلَ نَفْسَهُ لأَجْلِ خَطَايَانَا، لِيُنْقِذَنَا مِنَ الْعَالَمِ الْحَاضِرِ الشِّرِّيرِ»، مُستطردًا بهذه العبارة: «حَسَبَ إِرَادَةِ اللهِ وَأَبِينَا» (غل ١: ٤). وكما لو كان الروح القدس بهذه العبارة المُقتضَبَة يُعلِن لنا حقيقةً عظيمةً جدًّا، ألا وهي أنَّ ما فعله المسيح وما حصَّله نتيجة هذا العمل، كان في تمام الموافقة مع إرادة الله أبينا. وفي الوقت ذاته، حقَّق وقدَّم احتياجات الإنسان الهالك الأثيم. فيا لروعة الفادي وعظمته، فقد وفَّق بانسجامٍ عجيب بين مطالب الله البارّ القدوس وإعواز الإنسان الهالك الأثيم! لقد كان الرسول بولس

مُحِقًّا وهو يختم العبارة السابقة بكلمات السجود هذه: «لَهُ الْمَجْدُ إِلَى الأَبَدِ. آمِينَ». كم يجب أن تمتلئ قلوبنا قبل أفواهنا، وأفئدتنا قبل ألسنتنا، بعبارات الشكر والسجود لشخص الآب المُبارك، وهذا شيءٌ زهيد أمام حبِّه وموت ابنه لأجلنا.

فلننظرْ إلى رئيس الإيمان ومُكمِّله الرب يسوع:

أخي، هل أنت منفرد ليس مَن يرثي لك أو يسندك؟ هل نضب أمامك كلُّ مَعينٍ بشري؟ تشجَّع! فأمامك رجاء، أيها المسكين المُنفرد. ها صدى وعدٍ قيل منذ أيام القِدَم، فَدَعه يستقرُّ في أعماق قلبك: «اَللهُ مُسْكِنُ الْمُتَوَحِّدِينَ فِي بَيْتٍ (أي عائلة)» (مز ٦٨: ٦). ولكن يجب أن تعرف أنَّ يسوع المسيح، الذي يمكن أن نُسمِّيه بحقٍّ "المنفرد الأعظم"، قد اختبر الحقيقة المُرَّة الموصوفة في مزمور ١٠٢: ٦ و٧: «أَشْبَهْتُ قُوقَ البرِّيَّة. صِرْتُ مِثْلَ بُومَةِ الْخِرَبِ. سَهِدْتُ وَصِرْتُ كَعُصْفُورٍ مُنْفَرِدٍ عَلَى السَّطْحِ». لقد انفرد الرب يسوع على الصليب لمَّا شرب كأس خطايانا المُرَّة، لقد صرخ ولم يجد قلبًا واحدًا يُردِّد صدى صراخه. لقد اختبر الرَّبُّ وحشة الجلجثة، صار مثل قوق البريَّة، وبومة الخِرَب، وكعصفورٍ منفردٍ على السطح. لقد صُلِبَ كما من ضعف، ثُقبت يداه ورجلاه وكُلِّل رأسه بإكليلٍ من شوك، وعلى وجهه الجليل جرت بصقات الاستهزاء والاحتقار. وكانت السماء من فوقه كالنُّحاس، لقد تُرك من الله الآب.

أخي، ارفعْ بصرك نحو الصليب، فالمسيح هو الصديق والحبيب. أخْبره بآلامك، فرِّغ قلبَك وما فيه من همٍّ لديه. وكما كان هو بالأمس لمَّا وطِئَت قدماه هذه الأرض؛ هكذا هو أيضًا الآن، وهو على عرش أبيه في السماء، فالمجد لم يُغيِّر فيه شيئًا. هو يُجيبك، فتستطيع أن تقول: «لِي سَلاَمٌ مَعَ اللهِ بِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ» (رو ٥: ١)، وتجد لنفسك عائلة عظيمة، وأنت أحد أفراد بيت الإيمان و«أَهْلِ بَيْتِ اللهِ» (أف ٢: ١٩)، ولن تشعر بالوحدة فيما بعد. تذكَّر أنَّه قد تُرِكَ مُنفردًا فوق الصليب، قد تُرِكَ وَلم يجدْ حولَه عينًا تُشْفق، والآنَ هو عن يمين الله قد رُفِعَ، تُردِّدُ السماءُ مَدْحَ ما فعَلَ. وكم وكم يحلو لَنا، بيتُ الآب، حيث الحبيب وسطنا والحبُّ تاجٌ وجَمَال.

أخي، ارفع عينيك إلى ذاك المجيد الذي اختبر النسيان والتَّرك من الكلِّ، الذي قال بروح النبوَّة: «نُسِيتُ مِنَ الْقَلْبِ مِثْلَ الْمَيْتِ. صِرْتُ مِثْلَ إِنَاءٍ مُتْلَفٍ» (مز ٣١: ١٢)، بمعنى أنَّ الناس نسوه كميت أو كآنية مكسورة. ارفع عينيك إلى الذي كان على الصليب كعصفورٍ منفرد

على السطح، يتحمَّل التَّرك الرهيب من الله الآب مِمَّا جعله يصرخ. تأمَّل في كلِّ هذا لتستريح ويفيض قلبك بالتسبيح.

اشتياق نفوسنا وعطشها إلى الإله الحي:

أخي، أسوق لك مَثَلًا واحدًا من مزمور ٤٢، وهو من مزامير الشَّركة الشَّهيرة (مكتوبٌ في عنوان المزمور: قصيدة لبني قورح). في هذا المزمور نجد أنَّ الشركة مع الله بالنسبة لكاتبه كانت لا تزيد عن كونها زيارات سنويَّة في الأعياد لبيت الله، حيث الفرح والاستمتاع بالترنيم والشركة مع شعب الله، وقد عبَّر عن هذا بقوله: «كُنْتُ أَمُرُّ مَعَ الْجُمَّاعِ، أَتَدَرَّجُ مَعَهُمْ إِلَى بَيْتِ اللهِ بِصَوْتِ تَرَنُّمٍ وَحَمْدٍ، جُمْهُورٌ مُعَيِّدٌ». واستمر الوضع هكذا إلى أن سمح له الرب بالالتحاق بمدرسة الألم، إذ قد طُرِدَ من أرضه وعانَى في السَّبي من تعييرات المُضايقين كل يوم، حتى انسحقت عظامه وانحنت نفسه. وعندئذ حدث التحوُّل العجيب، إذ نراه يشتاق لا إلى شعب الله وترانيمه، ولا إلى بيت الله وأعياده؛ بل، ويا للروعة، إنه يشتاق بل يعطش إلى الله نفسه. فنسمعه يقول: «كَمَا يَشْتَاقُ الإِيَّلُ إِلَى جَدَاوِلِ الْمِيَاهِ، هكَذَا تَشْتَاقُ نَفْسِي إِلَيْكَ يَا اللهُ، عَطِشَتْ نَفْسِي إِلَى اللهِ، إِلَى الإِلهِ الْحَيِّ. مَتَى أَجِيءُ وَأَتَرَاءَى قُدَّامَ اللهِ؟» (مز ٤٢: ١ و٢).

«أُكَمِّلُ نَقَائِصَ شَدَائِدِ الْمَسِيحِ فِي جِسْمِي لأَجْلِ جَسَدِهِ» (كو ١: ٢٤):

لقد أراد الله أن يُعلِّم شعبه القديم في الذبائح المتكررة بغير نهاية، والتي كانت النيران دائمًا تلتهمها، مقدار كراهيته للخطيئة، ولهذا ما كانت النار تُطفأ مُطلقًا من فوق المذبح حيث التهمت نار الله ما لا يُحصى من الذبائح. وأخيرًا، جاء الذبيح العظيم، الذي قداسته استلزمت الكفَّارة، ومحبته أعدَّتْ لها، وبهذا العمل استراح. لقد شرب المسيح كأس خطايانا ولم يترك لنا منها شيئًا. ولكنَّه ترك لنا بعض شدائد المسيح لنُكمِّلها (كو ١: ٢٤)، فماذا نقول عن ظروفنا وآلامنا، وأيَّة اضطهادات أو فقر أو مُعاناة في العمل أو تعب في خدمة قدِّيسيه؟ هل نهتف مع المسيح: «الْكَأْسُ الَّتِي أَعْطَانِي الآبُ أَلَا أَشْرَبُهَا؟»، رغم بُعد المسافة بين الكأسين، أم أننا نستعفي!!

في صلاته طلب المسيح «لِكَيْ تَعْبُرَ عَنْهُ السَّاعَةُ إِنْ أَمْكَنَ» (مر ١٤: ٣٥)، فساعة الدينونة وتخلِّي الله الآب عنه كانت غير مقبولة لديه بالمرَّة، بأن يحجِب وجهه عن ابنه الوحيد المُتجسِّد لمدَّة ثلاث ساعات، وذلك بسبب خطايانا التي حملها في جسده على الصليب؛ ونحن لا ندري كيف احتمل المسيح أن يحتجب وجه الآب عنه! **(البقية صفحة ٤٢)**

من
التراث الكنسي

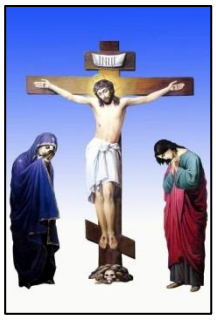

من قانون الإيمان[1]

"صُلِبَ"

«أَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ، مَوْتَ الصَّلِيبِ» (في ٢: ٨):

حَدَثَ مرَّة واحدة في التاريخ عندما سُئِل الإنسان عمَّا يُريد أن يفعله بإلهه، فأجاب: "ليُصلَب".

لم يكن الصَّلْب طريقةً عاديَّة كعقوبة للموت، إنَّما كان نوعًا محجوزًا فقط لأدنى طبقات الناس: العبيد. أمَّا إذا ارتكب مواطن روماني جريمةً تستحقُّ عقوبة الموت، فكان يُقتَل بالسيف أو بأيَّة وسيلةٍ أُخرى، ولكن لم يكن إطلاقًا بالصَّلب. إنها جريمة أن يُربَط المواطن الروماني، والأردأ أن يُضرَب، فكَم يكون القتل لو كان قد تمَّ بالصَّلب! إنَّه إجراءٌ شنيع لا يُمكن أن يوصَف بالكلمات، فالكلمات لا تَفِي بوصفه. كان الصَّلب أشنع طُرُق الموت في العالَم القديم، واللائق بالعبيد فقط، وكان هذا هو ما لاقاه يسوع.

نَشَأ القتل بالصَّلب أولًا في بلاد فارس، وسبب هذا كان كما يُظَنُّ أنَّ الأرض مُكرَّسة للإله أُرموزد Ormuzd، لذلك فقد كان المُذنِب يُرفَع مِن على الأرض حتى لا يُدنِّسها، لأنَّها تخصُّ هذا الإله. ثم انتقل الموت بالصَّلب من فارس إلى قرطاجنة في شمال إفريقيا، ومن هناك إلى روما. أمَّا يسوع، إذ قد حَمَل هو نفسه كلَّ خطايانا في جسده على الخشبة (١بط ٢: ٤)، واعتُبِر ابن الله أنه قد بَلَغ إلى هذه الدرجة من الجريمة؛ فإنَّه رُفِع على الصليب لئلَّا يُدنِّس أرضه الخاصَّة! مِلكِيَّته! كان هذا هو الموت الشائن الذي قاساه المسيح لأجلنا.

---

(١) تُرجِم بتصرُّف عن: Orthodoxy: A Creed for Today by Fr. Anthony M. Coniaris.

وُصِف الصَّلب ببساطة جدًّا في الإنجيل: **«وَلَمَّا مَضَوْا بِهِ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي يُدْعَى جُمْجُمَةَ صَلَبُوهُ هُنَاكَ»** (لو ٢٣: ٣٣). لَم تُعمَل مُحاولة لوصف رهبة الصَّلب المُتناهية، لا فائدة من هذا، كلُّ شخص كان يعيش في تلك الأيام كان على اطِّلاعٍ جيِّد بالتفاصيل المُروِّعة لهذا النوع من الموت، بعكس أيامنا الآن. لذلك يجب علينا أن نتذكَّر العذابات الشديدة والنَّزع الذي عاناه المسيح مِن أجلنا.

يصف الكاتب اليهودي كلاوزنر Klausner الصَّلب: بأنه "أشنَع وأقسى نوع من الموت أمكن للإنسان أن يختَرعه لينتقِم من أخيه الإنسان". ويُسمِّيه شيشرون Cicero: "أفظع وأرعَب عذاب". كان المُجرِم يُربَط إلى الصليب وجسده يُدمي من الجَلْد، وكان يُعلَّق حيث يَقضي أجَلَه بسبب الجوع والعطش وعار التَّشهير والفضيحة، وهو غير قادر أن يُدافع عن نفسه من عذاب البعوض والذباب الذي يتغذَّى على الجسد العاري والجراحات الدامية، ناهيك عن الكلاب التي كانت تُسرِع وتنهش الأقدام. هذا هو نوع الموت، أقسى نوع عرفه العالَم القديم، النوع الذي لقيه يسوع طوعًا لأجلنا.

وَصَف طبيب ذات مرَّةٍ التأثيرات البدنيَّة للصَّلب: الوضع غير الطبيعي والتوتُّر الذي يوجد فيه الجسد، يجعل كل حركة غاية في الألم، ووضع المسامير التي كانت تُدَقُّ لتشُقَّ طريقها بعنف في اليدين والرِّجلين حيث تخترق الأعصاب والأوتار، تُسبِّب عذاباتٍ وآلامًا حادَّة. الجراحات التي تُسبِّبها المسامير وأماكن ضرب السياط، لا تلبث أن تُصاب بالغرغرينا (التعفُّن)، ووَضْع الجسم في حالة الصَّلب يُعيق سريان الدورة الدمويَّة ويُسبِّب ألمًا يوصَف بأنَّه أردأ وأقسى من الموت ذاته. ثمَّ يلي هذا، العطش المُستمِر ليُعذِّب الضحيَّة أكثَر مِمَّا مضى. هذا هو نوع الموت، أقسى عذاب عرفه العالَم القديم، هذا الذي قاساه يسوع لأجلنا.

سِرُّ جبل الجلجثة المُبارَك:

وكنوعٍ مِن التأمُّل، كأنَّ ابن الله نفسه، الذي تعبده جميع الملائكة والقدِّيسين ويُكرمونه، تقدَّم إلى الآب وقال: "يا أبي، أَنزِلُ أنا (إلى الأرض)، أخلعُ عنِّي المجد الذي لي عندكَ من قَبل تأسيس العالَم، وأُخلِي ذاتي (مِن مجد لاهوتي) وآخذ لنفسي طبيعتهم (البشريَّة) وجسدهم، وبدلًا منهم أصير طائعًا لكَ حتى الموت، موت الصليب. سوف أُشوَّه وأُحتَقَر وأُهان وأُرذَل وأُرفَض مِن بني البشر، سوف يبصقون في وجهي ويُكلِّلون رأسي بالأشواك، سوف تُثْقَب يداي

ورِجلاي بالمسامير وأُطعَن بالحربة، سوف أحيا كما يحيا الإنسان، وسوف أموت كَمَنْ يستحقُّ الموت، وهكذا بحياتي وبموتي أُخلِّص الجنس البشري".

وهكذا، فقد دوَّت جوانِب السماء برنين البهجة وهُتاف الملائكة ورؤساء الملائكة والشاروبيم والسارافيم: "أيُّها الابن الوحيد كلمة الآب الأزلي، اِنزِلْ، اِنزِلْ، اِنزِلْ! أنتَ الوحيد الذي يمكن أن تكون فاديهم! المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام والمشيئة الصالِحة للناس!"[٢].

هذا هو **سرُّ جَبَل الجلجثة المُبارَك**: ابن الله الذاتي يصير حاملًا للخطيَّة مِن أَجْل الجنس البشري.

"عنَّا"

ويمضي قانون الإيمان النيقاوي ليقول إنَّ يسوع صُلِب "عنَّا". وهذا يعني لأجلك ولأجلي شخصيًّا! كَم أنَّ حُبَّه عظيمٌ جدًّا وشخصيٌّ جدًّا! إنَّه: "حَمَل أحزاني وأخذ آلامي وتبنَّى أوجاعي ... جُرِح لأجل آثامي، سُحِق لأجل معاصِيَّ، تأديب سلامي عليه، وبجلداته شُفيتُ" (انظر: إش٥٣). لأجل خلاصي عُلِّق على الصليب بسبب خطاياي لأنال الغفران.

يقول الفيلسوف التقي بليز باسكال Blaise Pascal الذي يُقال عنه إنَّه أعظم مُفكِّر عرفته البشريَّة، في كتابه "تاريخ موجز لحياة يسوع المسيح": "في منتصف ليلة ٢٣ نوفمبر ١٦٥٤م، تكلَّم يسوع معي وقال: "بليز، كنتُ أثناء عذابي واحتِضاري أُفكِّر فيك"". هذا الاختبار جَعَل باسكال يتحوَّل إلى الإيمان. هذا الاختبار جَعَل الصليب شيئًا شخصيًّا له. قال صوتُ المسيح: "بليز، لأجلك فعلتُ كلَّ هذا". إنَّ يسوع تألَّم ومات وقُبِر وقام ثانيةً، ليس فقط لأجل البشريَّة عمومًا، ولكن أيضًا لأجل كلِّ واحدٍ شخصِيًّا.

لقد استحوذ هذا الفكر على القدِّيس تيخون زادونسكي St. Tikhon Zadonsky، القدِّيس الروسي الشهير، فقال: "أنتَ، ياسيِّد، باعك تلميذك وقُبِض عليكَ لأجل أن نصير نحن أحرارًا، نحن الذين كُنَّا عبيدًا. أسلمتَ ذاتكَ لمحاكمةٍ ظالمة، وأنتَ ديَّان الأرض كلِّها، لنتحرَّر

(٢) "بل أنتَ بغير استحالةٍ تجسَّدتَ وتأنَّستَ، وأشبهتنا في كلِّ شيءٍ ما خلا الخطيَّة وحدها" (صلاة الصُّلْح – القدَّاس الغريغوري – الطَّقس القبطي).

نحن من العقوبة الأبديَّة. لقد صرتَ عريانًا، لتكسونا بثياب الخلاص ... وكُلِّلتَ بالأشواك، لننال نحن إكليل الحياة ... ووُضِعتَ في مقبرة، لنقوم مِن قبر الخطية ... هذا فعلتَهُ لأجلنا، نحن خُدَّامك غَير المُستحقِّين، أيُّها السيِّد"!

لا يمكننا أن نحوز المعنى الكامِل للصَّلْب والقيامة إنْ لم نتحقَّق أنَّ يسوع فَعَل كلَّ هذا لأجلنا، لأجل كلِّ واحد منَّا شخصيًّا.

"ماذا يقول لنا الصَّليب عن الله"؟

الصليب ليس فقط حقيقة، ولكنه أيضًا نافذة تُمكِّننا أن نَرى حقيقة عظيمة. الصليب هو النافذة التي من خلالها رأينا الحقيقة العُظمى عن محبَّة الله للإنسان: **«هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ»** (يو ٣: ١٦). لم يَعُد الله صامتًا، بل إنه أخلى ذاته من مجد الألوهيَّة وتكلَّم بوضوحٍ وبجلاء، فوق كل شيء. هذا ما حدث على الصليب.

+ **«اللهَ بَيَّنَ مَحَبَّتَهُ (الخصوصيَّة) لَنَا، لأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ لأَجْلِنَا»** (رو ٥: ٨).
+ **«فِي هذَا هِيَ الْمَحَبَّةُ: لَيْسَ أَنَّنَا نَحْنُ أَحْبَبْنَا اللهَ، بَلْ أَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا، وَأَرْسَلَ ابْنَهُ كَفَّارَةً لِخَطَايَانَا»** (١يو ٤: ١٠).
+ **«لكِنَّ أَحْزَانَنَا حَمَلَهَا، وَأَوْجَاعَنَا تَحَمَّلَهَا .وَنَحْنُ حَسِبْنَاهُ مُصَابًا مَضْرُوبًا مِنَ اللهِ وَمَذْلُولًا، وَهُوَ مَجْرُوحٌ لأَجْلِ مَعَاصِينَا، مَسْحُوقٌ لأَجْلِ آثَامِنَا»** (إش ٥٣: ٤ و٥).
+ «**كَمَا أَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيَخْدِمَ، وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ»** (مت ٢٠: ٢٨).
+ **«عَالِمِينَ أَنَّكُمُ افْتُدِيتُمْ لَا بِأَشْيَاءَ تَفْنَى، بِفِضَّةٍ أَوْ ذَهَبٍ ... بَلْ بِدَمٍ كَرِيمٍ، كَمَا مِنْ حَمَلٍ بِلَا عَيْبٍ وَلَا دَنَسٍ»** (١بط ١: ١٨ و١٩).
+ **«الَّذِي فِيهِ لَنَا الْفِدَاءُ بِدَمِهِ، غُفْرَانُ الْخَطَايَا، حَسَبَ غِنَى نِعْمَتِهِ»** (أف ١: ٧)

زار كاهن رجُلًا يحتضِر، وهو في لهفةٍ ليسمع أيَّ كلمةٍ تُشجِّعه، فأمسكَ القس بالصليب

أمام عينَي الرجُل الذي يحتَضِر وقال: "اُنظُر كيف يُحبُّكَ الله كثيرًا. عندما مات المسيح على الصليب كأنَّه كان يقول لنا: "لا يُمكن لأيِّ شيء تعملونه أن يوقفني عن أن أُحبَّكم، قد لا تُطيعونني، قد تسحقونني وتضربونني وتجلدونني، وقد تقتلونني على الصليب، لكنِّي لن أكُفَّ عن حبِّكم. اُنظروا كم هي محبَّتي لكم". كلُّ هذا الذي حدث على الصليب هو نافذة تُمكِّننا أن نَرى قلب الله المُحِب، والمُتألِّم، والمُخلِّص، والفادي. لقد قدَّم الإنسان لقرونٍ مُتواصِلة. ذبائح وتقدمات لآلهةٍ كثيرةٍ؛ أمَّا على الصليب، فقد رأينا الذبيحة الوحيدة الحقيقيَّة، الله يُقدِّم نفسه لأجل الإنسان: **«لَيْسَ لأَحَدٍ حُبٌّ أَعْظَمُ مِنْ هذَا أَنْ يَضَعَ أَحَدٌ نَفْسَهُ لأَجْلِ أَحِبَّائِهِ»** (يو ١٥: ١٣). هذا هو نوع الحُبّ الذي أحَبَّ به الله كلَّ واحدٍ منَّا".

"ما أعظم قيمتنا لدى الله"

وبالإضافة إلى ما يُخبِرنا به الصليب عن كَم يُحبنا الله! فإنه يُرينا أيضًا كَم نحن ذوو قيمة لديه. إن مات شخص لأجلك، فهذا يعني أنَّكَ مهم، ولكن إن كان هذا الشخص هو الله، فهذا يعني أنكَ مهمٌّ للغاية. وكما نحكُم على صورة أو لوحة فنيَّة ونُقَيِّمها بالثمن الذي دُفع فيها؛ هكذا ينبغي أن نُقيِّم أنفسنا بالثمن الذي دُفع لأجل خلاصنا. كَتَب المؤرِّخ الكنسي يوسابيوس القيصَرِي منذ زمان: "إن لم تصغِ لذاكَ الذي خلقك، فاسأل ذاكَ الذي فداكَ كَم (أنتَ) تُساوي؟ ما الثمن الذي دفعه المسيح لأجلك؟ تأمَّل في آلامه، كم أُسيئت معاملته وسُخِر به. تفكَّر في عذاباته، وفي إكليل الشوك، وفي الصليب. إنَّه لكي يفديكَ ويُخلِّصك، ولكي يشتريك، ضَحَّى بحياته، هذا الذي هو ابن الله الأزلي، الإله الحقيقي المساوي لأبيه (في الجوهر). اُنظُر إلى عَظَمَة القمر والنجوم، اُنظُر إلى الأرض وجمالها، ماذا يكون كل ذلك إذا ما قورِن بالله؟ بصعوبةٍ نقول: ولا ذَرَّة من تُراب. فأنتَ، إذًا، ذو قيمة لانهائيَّة أكثر من السماء والأرض وكل بهائها. إنَّ معيار قيمتك هو الله الأبدي ذاته، لأنَّه اقتناك بدمه الخاص .. أنتَ ذو قيمة تُساوي دم ربنا يسوع".

نسمع في هذه الأيَّام أنَّ الإنسان يُعاني من أزمة ضياع الهويَّة، مِحنة ذاته، إنه لا يَعلَم مَن هو؟ مَن يكون؟ لن يَعلَم الإنسان مَن هو إلى أن يلتقِي بيسوع على الصليب! هنا فقط يأتي الإنسان ليتعرَّف على هويَّته الحقيقيَّة، فيعرف كَم هو محبوبٌ لدى الله وأنَّه يخصُّه، إنه ذو قيمة لدى الله، تمامًا مثل دم ابنه الوحيد: **«الآنَ نَحْنُ أَوْلاَدُ اللهِ، وَلَمْ يُظْهَرْ بَعْدُ مَاذَا**

سَنَكُونُ ... "لأننا سنكون مِثله"» (١يو ٣: ٢). قال يسوع لتلاميذه: **«لَا أَعُودُ أُسَمِّيكُمْ عَبِيدًا ... قَدْ سَمَّيْتُكُمْ أَحِبَّاءَ»** (يو ١٥: ١٥).

مَن صَلَبَ المسيح؟

عندما نتواجه مع هذا السؤال، فإنَّنا نتراجع في رُعبة. إننا مُستعدُّون أن نلوم أيَّ شخصٍ آخر إلَّا أنفسنا. إن كنَّا نغسِل أيادينا من دم هذا الإنسان، فنحن نرتكب جريمة كبيرة ضد كلِّ الجنس البشرِي. إننا نلوم اليهود لأنهم قتلوا المسيح، نلومهم بسبب هذه الجريمة التي يتعذَّر التكفِير عنها. ليس كل الشعب اليهودي هو الذي فعل هذا، وليس اليهود العاديون؛ ولكن مجموعة صغيرة من رجال الشَّرع والقانون المُتعصِّبين للدِّين، هم الفرِّيسيون والصدُّوقيُّون الذين عارَضوا وقاوموا يسوع، وفي النهاية أدانوه زورًا. إنَّ الاثنى عَشَر رسولًا، وبولس الرسول، ويسوع نفسه، كلهم كانوا يهودًا!

إنَّ الكهنة الذين حاكموا يسوع وأدانوه، كانوا كهنة حقيقيِّين للإله الحقيقي. لم يقُل يسوع غير هذا، ومع ذلك كانوا هم الذين خطَّطوا وحرَّكوا جريمة الصَّلب. لم يكن المُجرمون ولا حُثالة المُجتمع ولا نفاية الأرض هم الذين صلبوا يسوع، بل كان مِن هؤلاء مَن صُلِب معه؛ أمَّا الذين أسلموا يسوع ليُصلَب، فقد كانوا مِن هؤلاء الذين يُدعَون اليوم: "الصالحين أو المُتديِّنين أو شعب الكنيسة أو الذين يُحامون أو يترافعون عن القانون والشريعة والنظام"، كانوا القادة لأفضَل الحركات الدينيَّة في هذا الوقت. إنَّهم المواطِنون المُحتَرمون والمُطيعون للناموس. وبكلماتٍ أُخرى، هم أشخاصٌ مِثلي ومِثلك تمامًا!

إنَّ الأشياء التي أَودَت بيسوع إلى الصَّليب في القرن الأول، هي نفسها التي لا تزال تُعمَل بي وبكَ اليوم، وهي تُزعِج وتُقلِق الله الآن في هذه الأيام تمامًا، كما فَعَلَت في الماضي. وطالَما يوجَد الشرُّ والشِّرير في العالَم، فالحَمَل لا يزال يُذبَح. يكتب راهب غير معروف اسمه من الكنيسة الشرقيَّة ويقول:

> **"سيِّدي، إنَّ آلامك لم تنتهِ بعد، إنَّ جروحك لا زالت تُدمِي، لا يزالون يصلبونك في نفْس هذا اليوم، أين؟ على الواحد أن يقرأ فقط الجرائد ليَعلَم هذا! سيِّدي، جسدك يتعذَّب، يُصلَب في كلِّ مكانٍ وفي كلِّ وقت، في أعضائك البشريَّة** (مت ٢٥: ٤٠ و٤٥)".

ادخل
إلى
العمق

«الربُّ قد مَلَكَ على خَشَبة»

(مز ٩٥: ١٠ س)

• **[لأنَّكَ بمشيئتك سُرِرتَ أن تَصعد على الصليب]**

(صلوات الأجبية - قطع الساعة السادسة).

تمهيد:

صورتان مُتباينتان لمنظر العَرش يُمكننا أنْ نلمحهما في الكتاب المقدَّس:

المنظر الأوَّل: **صورة عَرشٍ في السماء**، يَصفه القدِّيس يوحنا الرسول، يحمل كلَّ مظاهر المجد العظيم والجلال والهَيبة، والجالس عليه ذو جلالٍ ومجدٍ عظيمَيْن: «وَإِذَا عَرْشٌ مَوْضُوعٌ فِي السَّمَاءِ، وَعَلَى الْعَرْشِ جَالِسٌ ...» (رؤ ٤: ٢). وحول العرش طغماتٌ من السمائيِّين، يُعطون المجد والكرامة للجالس على العرش، وكذلك الأربعة والعشرون شيخًا يَخرُّون ساجدين قدَّام الجالس على العرش، ويَطرحون أكاليلهم قدَّامه (انظر: رؤ ٤: ٨-١١)، والأربعة أحياء غير المُتجسِّدين، يُمجِّدون الجالس على العرش قائلين: «قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، الرَّبُّ الإِلهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، الَّذِي كَانَ وَالْكَائِنُ وَالَّذِي يَأْتِي» (رؤ ٤: ٧ و٨).

أمَّا **المنظر الثاني**: فهو **لعرشٍ أرضي**، يَتمثَّل في مجرد عارضتين خَشبيَّتين مُتقاطعتين، **بمثال الصليب**، مُعلَّقٌ عليه إنسانٌ محكومٌ عليه بالموت، وفوق رأسه صَحيفة مكتوبٌ عليها مُبرِّرات حُكم موته: إنَّه "**ملك اليهود!**". وأمام هذا العرش والمُعلَّق عليه، يَتَهَكَّم الصالبون، ويَهزُّون رؤوسهم، ويَسجدون أمامه مُجدِّفين عليه قائلين: «السَّلاَمُ يَا مَلِكَ الْيَهُودِ!»، وأيضًا: «خَلَّصَ آخَرِينَ وَأَمَّا نَفْسُهُ فَمَا يَقْدِرُ أَنْ يُخَلِّصَهَا»، وغيرها من مظاهر التَّحقير: (انظر: مت ٢٧: ٢٦ – ٤٤؛ لو ٢٣: ٣٥ – ٣٩)، إضافةً لتَعبيرات اللِّصَّيْن المصلوبَيْن معه (انظر: مر ١٥: ٣٢).

وحينما ارتاب بيلاطس في هويَّة شخص المسيح: مَن يكون؟ وأراد أن يَعرف ماذا يَعني قول اليهود عنه: إنَّه ملكٌ! أجابه يسوع قائلًا: «مَمْلَكَتِي لَيْسَتْ مِنْ هذَا الْعَالَمِ» (يو ١٨: ٣٦).

ولكن، في النهاية، رَضَخ بيلاطس لطلب اليهود ورؤسائهم، وأسلَم لهم يسوع (الملك) ليُصلَب!

أمَّا نحن فنرى، أنَّه بينما كان العرش الأول السمائي عرشًا لله في مجده، صار الصليب هو العرش الثاني الجديد للإله المُتجسِّد، الذي صَعِدَ عليه المسيح، ليَملُك على كلِّ الخليقة، جاذبًا إليه قلوب الجميع وحياتهم ورجاءهم، بعد ما سَفَك عليه المُخلِّص دمه الثمين، واشترانا لنفسه، خليقةً جديدة مُفتَداة بهذا الدَم الكريم، المسفوك على عرش الحُبِّ اللانهائي من الله الخالق لجُبلَته، ليَتِمَّ قول الربِّ يسوع نفسه: «وَأَنَا إِنِ ارْتَفَعْتُ عَنِ الأَرْضِ أَجْذِبُ إِلَيَّ الْجَمِيعَ» (يو ١٢: ٣٢).

الصليب هو عرش الملك:

عندما صُلِب الربُّ يسوع، وعُلِّق على خَشبة الصليب، كان المجتازون يُجدِّفون عليه وهم يَهزُّون رؤوسهم قائلين: «يَا نَاقِضَ الْهَيْكَلِ وَبَانِيَهُ فِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ، خَلِّصْ نَفْسَكَ! إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ **فَانْزِلْ عَنِ الصَّلِيبِ!**» (مت ٢٧: ٤٠)، وأيضًا: «إِنْ كَانَ هُوَ مَلِكَ إِسْرَائِيلَ **فَلْيَنْزِلِ الآنَ عَنِ الصَّلِيبِ** فَنُؤْمِنَ بِهِ!» (مت ٢٧: ٢٤). فهل كان من الممكن أن يَتخَلَّى المسيح عن عرشه فوق الصليب، وينزل ليُبَرهِن للجموع على ألوهيَّته؛ ومن ثمَّ تَضيع خُطة خلاصنا، لمجرد الاستماع لدعوة إبليس واشتياقه، الناطق على ألسِنة الجموع، بالهروب من عار الصليب، الذي حملَ يسوع عليه خطايانا في جسده، مُسمِّرًا إيَّاها على الصليب، وصار هذا هو غاية ما يَبتغيه إبليس أن يتخلَّى الرب عن الصليب؟ بالطَّبع، كان من المستحيل أن يفعل الربُّ ذلك، وهو الذي قَبِل أن يَتجسَّد من أجل خلاصنا، وقال: "إني لهذا قد أتيتُ" لكي يحمل خطايانا في جسده ويغسلها بدم صليبه.

فالمسيح، بموته بالجسد على الصليب؛ قد كَسَرَ عنَّا شوكة الموت بدَمه المسفوك على الصليب؛ وأبدَلَ لنا خشبة العار، التي كانت عنوانًا للقصاص ونصيبًا للخطاة والأَثَمَة والمُجرمين، ومصدر عارٍ لمَن يُعلَّق عليها: «مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِّقَ عَلَى خَشَبَةٍ» (غل ٣: ١٣)، ليَجعل منها علامة فَخرٍ، وسلاح نُصْرةٍ، **وعَرشًا جديدًا** مُكَرَّسًا بدَم ابن الله. وصار الصليب، منذ ذلك الحين، سلاحًا بتَّارًا ضدَّ إبليس وكلِّ قواه الشِّريرة، وموضع افتخار لكلِّ مَن يؤمن بخلاص المسيح، ويشتهي أن يَصعد معه على الصليب، بقبوله عار المسيح، وكلِّ ضيقات وأتعاب هذا الدهر الفاني من أجل اسمه؛ ليكون شريكًا للربِّ في آلامه،

فيَستحِقَّ أن يَحظى معه بشركة مجده.

موت المسيح الكفَّاري على الصليب:

كان الصليب هو الحَل الوحيد والكافي والشامل، الذي قدَّمه الله لحلِّ مُعضِلة سقوط البَشريَّة، وسيادةِ الموت وتَسلُّطِه عليها. فالربُّ اختار، بحِكمةٍ عالية، سلاح الصليب ليَغلب به طُغيان الخطيَّة والموت، اللذين جلبهما إبليس على البَشر، وقَبلَ أن يترك عَرشه السمائي ويُخلي ذاته من مجد لاهوته ويتجسَّد، ليرتفع على عرش الصليب، المُزدرَى بين البَشر، لكي يَرفع عنَّا ثِقَل حُكم الموت، الذي قبلناه بسبب خطيَّة أبوينا الأوَّلين. فصارت آلة الموت والقصاص للبشريَّة، هي بعينها عنوانَ نُصرتنا وخلاصنا بدم المسيح، وراية فخرنا، بعد أن حَمَلَ المسيح خطايانا في جسده وسمَّرها على خشبة الصليب، وأماتها إلى الأبد.

فالمسيح قد صار بمثابة الذبيحةِ الكاملة عن كلِّ البَشر، وهذه الذبيحة هي أبديَّة، يفوق فعلُها وتأثيرها ليُغطِّي كلَّ الأزمنة، وحتى نهاية الدهور، وفي هذا يكتب القدِّيس بولس الرسول بالروح: «لأَنَّهُ بِقُرْبَانٍ وَاحِدٍ قَدْ أَكْمَلَ إِلَى الأَبَدِ الْمُقَدَّسِينَ» (عب ١٠: ١٤). لأنَّ **الربَّ قد مَلَكَ على خشبة الصليب إلى الأبد؛** فصار الصليب لنا صَكَّ حريةٍ وخلاصٍ أبديَّين، ومحلًّا للكرامة والمجد، وكعرشٍ لإلهنا المُخلِّص، الذي تَخضَّب الصليب بدمه الكريم، ليُكمِّل لنا النُّصرَة والمُصالحة والخلاص الأبدي.

ماذا يَعني الصليب بالنسبة لنا؟

كما سبق القَول، قد صار الصليب هو العَرش الجديد بالنسبة لنا، وصار أيضًا مكان لقائنا مع الربِّ، حيث هو مدينة الملجأ بالنسبة لنا، فإليه نَلجأ ونُسرع، لنَصعد ونختبئ في جراحات الحبيب، لننجو من سِهام إبليس المُلتَهبة نارًا، ومن كلِّ تجربة مُرَّة، ونَحوَه نَتَّجه لنأخذ من جراحات المسيح بَلسَمًا لأتعابنا وجراحاتنا وآلامنا، ونَحظى بشركتنا معه في آلامه، لكي نَفرحَ ونَتمجَّدَ معه في مجده، لأنه: «كَمَا اشْتَرَكْتُمْ فِي آلاَمِ الْمَسِيحِ، افْرَحُوا لِكَيْ تَفْرَحُوا فِي اسْتِعْلاَنِ مَجْدِهِ أَيْضًا مُبْتَهِجِينَ» (١بط ٤: ١٣). كذلك فإنَّنا نأخذ من صليب المسيح معونةً وقوَّةً للجهاد والمُقاومة حتى الموت، لنَظفَر بأكاليل القيامة المجيدة؛ لأنَّ كلَّ مَنْ يَدَّعي أنَّه يحمل الصليب مع المسيح، دون أن يكون مُستعدًّا للموت عليه، فهو كاذبٌ. فشركتنا في صليب المسيح، تقتضي مِنَّا الاستعداد الدائم أنْ

نموت من أجل إيماننا ومحبَّتنا للمسيح، وأن نحتمل كلَّ شيءٍ – حتى الموت – من أجل اسمه، ولا يفصلنا عن تحقيق ذلك أيُّ عائقٍ.

وأيضًا، مثلما صار الصليب علامةَ خلاصنا، ومَحوَ صَكِّ عبوديتنا، وإتمامَ فدائنا، فقد صار كذلك سلاحَ نُصرتنا على إبليس والخطيَّة والعالم، ومُعينَنا على الجهاد، لنكون أهلًا لهذا الفداء الذي تمَّ عليه، من قِبَل موت المسيح لأجلنا. وصار الصليب مُعضِّدًا لنا في مقاومة إبليس، كقوَّةٍ قاهرة له.

وبَقِيَ علينا أن نَستعين به في حَربِنا مع كلِّ أجناد الشرِّ الروحيَّة (انظر: أف ٦: ١٢)؛ لئلا نَعودَ بتكاسلنا ورجوعنا عن جهادنا، وعَودتنا لخطايانا الأولى، فنُشهِّرَ ونَصلبَ المسيح مرَّةً أخرى، كما يقول القدِّيس بولس الرسول: «لأَنَّ الَّذِينَ اسْتُنِيرُوا مَرَّةً، وَذَاقُوا الْمَوْهِبَةَ السَّمَاوِيَّةَ وَصَارُوا شُرَكَاءَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، وَذَاقُوا كَلِمَةَ اللهِ الصَّالِحَةَ وَقُوَّاتِ الدَّهْرِ الآتِي، وَسَقَطُوا، لَا يُمْكِنُ تَجْدِيدُهُمْ أَيْضًا لِلتَّوْبَةِ، إِذْ هُمْ يَصْلِبُونَ لأَنْفُسِهِمِ ابْنَ اللهِ ثَانِيَةً وَيُشَهِّرُونَهُ» (عب ٦: ٤ – ٦).

لقد صَعِدَ المسيح ليملكَ على الصليب، ويُنجِّيَ الذين خَلقهم من عبوديَّة العدو؛ فلنَصعد نحن أيضًا إليه – كلُّ واحدٍ بصليبه الصغير – لنَشترِك معه في آلامه، لِنَستَحِقَّ أن نشترك معه في مجده.

****

(بقية المنشور صفحة ٣٢ – "آلام الرب")

كانت الكأس مملوءة بكلِّ نجاسة الخطية، ومَنْ غير المسيح، كان يعلم كيف سيُعامله الآب عندما يصير خطيةً لأجلنا؟ إننا لا نستطيع معرفة عُمق جُرحه النفسي إزاء التَّرْك والتَّخلي، في الوقت الذي أسلمه فيه للموت. فقد كان كلُّ هذا يمرُّ أمامه، فكان يُصلِّي: «أَجِزْ عَنِّي هذِهِ الْكَأْسَ. وَلكِنْ لِيَكُنْ لَا مَا أُرِيدُ أَنَا، بَلْ مَا تُرِيدُ أَنْتَ» (مر ١٤: ٣٦).

وإن كنَّا نجد في جثسيماني ملاكًا جاءه ليُقوِّيه، فهناك في الجلجثة لم يقف بجانبه لا ملاك ولا مُحبّ ولا صَديق يُطيِّب خاطره ويعضده، فالكلُّ تَرَكَه، حتّى الله الآب حجب وجهه عنه!!

بحث تاريخي

دير الميمون
ببني سويف
(١)

الأستاذة الدكتورة/ شيرين صادق الجندي
أستاذ الآثار والفنون القبطية
ورئيس قسم الإرشاد السياحي بكلية الآداب – جامعة عين شمس

محافظة بني سويف:

تقع محافظة بني سويف فى مصر الوسطَى، ويوجد بها كثيرٌ من المعالم السياحية والأثرية القديمة والحديثة لعلَّ أهمها:

١- هرم ميدوم، والذى شيَّده الملك سنفرو من الأسرة الرابعة فى مصر القديمة سنة ٢٦٢٠ ق.م. تقريبًا فى مركز الواسطى.

٢- منطقة آثار دشاشة بمركز سمسطا على بُعْد اثني عشر كيلومترًا من مدينة إهناسيا. وبها جبَّانة تحتوي على مقابر صخرية، أهمها مقبرتان لأنثي وشدو من أواخر عصر الأسرة الخامسة وأوائل عصر الأسرة السادسة في الدولة القديمة.

٣- منطقة آثار إهناسيا جنوب غرب بني سويف بحوالي خمسة عشر كيلومترًا. واكتُشِفت بها تُحف أثرية مصرية قديمة كثيرة تزخر بها متاحف العالم، مثل: لوحة الملك رمسيس الثاني المحفوظة حاليًا في متحف المتروبوليتان في نيويورك.

٤- منطقة آثار الحيبة أو "حت بنو" أي (مقر طائر البنو)، وبها جبَّانات أثرية ومعبد للإله آمون.

- ومن أهم المعالم الأثرية القبطية ببني سويف، نُشير كذلك إلى:

١- دير العذراء في منطقة بياض العرب في الناحية الشرقية من المحافظة، وهو من القرن الخامس عشر تقريبًا.

٢- كنيسة عزبة دير الأنبا بولا ببوش.

٣- كنيسة العذراء القديمة في درب العبيد، والمُشيَّدة خلف المطرانية القبطية ببني سويف.

٤- متحف مطرانية بني سويف في مبنى الخدمات. وقد أنشأ هذا المتحف مطران مدينة بني سويف المُتنيِّح الأنبا أثناسيوس.

- ومن المعالم الطبيعية والحديثة في هذه المحافظة، تجدر بنا الإشارة إلى:

١- محميَّة كهف وادي سنور، وهذا الكهف من الحجر الجيري المُغطَّى بالمرمر، وقد اكتُشِف في تسعينيات القرن العشرين.

٢- متحف بني سويف.

القدِّيس الأنبا أنطونيوس العظيم:

طبقًا للتقليد القبطي الأرثوذكسي، وُلِد هذا القدِّيس في حوالي منتصف القرن الثالث الميلادي في قرية "قمن العروس" بمحافظة بني سويف في الناحية الجنوبية لمدينة الواسطى. وكان من أسرة ثرية وتقيَّة. وبعد وفاة والديه، كان دائم التردُّد على الكنيسة لقضاء معظم أوقاته في الصلوات والعبادات. وأثناء وجوده بها ذات يوم، سمع الآية التالية: «إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ كَامِلًا فَاذْهَبْ وَبِعْ أَمْلاَكَكَ وَأَعْطِ الْفُقَرَاءَ، فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ وَتَعَالَ اتْبَعْنِي» (مت ١٩: ٢١). فقرَّر ترك أخته الصُّغرى "ديوس" في دير للعذارى وذهب ليعيش وحيدًا في قلاية شُيِّد فوقها فيما بعد دير قبطي عُرِف باسم "دير الميمون". ثم عَبَر الصحراء الشرقية بعد ذلك، واتَّجه إلى وادي عرابة بالقرب من سلسلة جبال بحر القلزم، ليعيش باقي حياته في مغارةٍ أعلى إحدى قمم هذه الجبال الموجودة خلف ديره المُشيَّد حاليًّا في محافظة البحر الأحمر، إلى أن تنيَّح في يوم ٢٢ طوبة سنة ٣٥٦م تقريبًا. ويُعتَقَد أنَّ جسده مدفونٌ تحت الهيكل الرئيسي بالكنيسة الأثرية التي تحمل اسمه داخل ديره في البحر الأحمر.

ويُعَدُّ القدِّيس الأنبا أنطونيوس العظيم أشهر المؤسِّسين للرهبنة القبطية في مصر والعالم أجمع. كما يُعتَبر الأب الحقيقي لكلِّ الرهبان. وقد وصفه المؤرِّخون بأنه "كوكب البريَّة" التي عاش فيها أغلب أوقاته. كما عاش الرهبان والنُّسَّاك حوله في قلاياتٍ صخرية، هي بمثابة مغاراتٍ جبلية كثيرة موجودة في مناطق وعرة مليئة بالأحجار الضخمة المُتساقطة

من حينٍ إلى آخر، حيث يصعب النزول منها. وتقع هذه المغارات في وادي عرابة على بُعْد حوالي ٣٦ كيلومترًا في الناحية الغربية من دير القدِّيس الأنبا أنطونيوس العظيم في البحر الأحمر، وفي شمال جبل القلالي. ومن اسم هذا الجبل اشتُقَّ الاسم الحديث "جبل الجلالي" أو "هضبة الجلالة". كما توجد مغارة من هذه المغارات على مقربة من بئر بخيت، وأخرى في وادي حنبة، وثالثة في وادي نطفة. وتتكوَّن كل مغارة من وحدتين صغيرتين متداخلتين بكلٍّ واحدة منهما حنيات[١]. وتجدر الإشارة إلى أنه لم يكن يوجد في هذا التوقيت ما يجمع الرهبان والنُّسَّاك في مكانٍ مُغلَق، كما هو الحال في الأديرة الحالية.

وفي القرن الرابع الميلادي، كتب القدِّيس أثناسيوس الرسولي بطريرك الكنيسة القبطية في الإسكندرية الـ ٢٠ حينذاك سيرة القدِّيس العظيم الأنبا أنطونيوس[٢] بناءً على طلب النُّسَّاك المسيحيين في أوروبا، والذين أرادوا أن يتعمَّقوا في دراسة ومعرفة نُظُم وتعاليم وتفاصيل حياة الرهبنة الأنطونية بكلِّ دقة. وفي الوقت الراهن، يتمُّ الاحتفال بعيد القدِّيس الأنبا أنطونيوس العظيم في يوم ١٧ يناير في الكنائس الكاثوليكية، وفي يوم ٢٢ طوبة طبقًا للتقويم القبطي.

أديرة وكنائس باسم القدِّيس أنطونيوس العظيم في مصر:

تتعدَّد المنشآت الدينية والأثرية التي تحمل اسم القدِّيس الأنبا أنطونيوس في سائر الأقطار المصرية، ومنها:

١- دير القدِّيس الأنبا أنطونيوس العظيم في البحر الأحمر في جنوب شرق مدينة القاهرة. وبه الكنيسة الأثرية الكبيرة، وهي معروفة باسم هذا القدِّيس، بالإضافة إلى كنيسة أخرى أحدث تُعرَف باسم كلٍّ من القدِّيسَيْن بولا السائح وأنطونيوس العظيم، إلى جانب كنيسة ثالثة تُعرَف باسم: "كنيسة العذراء والقدِّيس الأنبا أنطونيوس العظيم". ويُعتبر هذا الدير من أقدم وأهم وأجمل وأكبر الأديرة الأثرية القبطية في مصر.

٢- الكنيسة الثالثة الصغيرة الموجودة حاليًا في الطابق الأخير في الحصن الأثري في دير القدِّيس أنبا مقار بوادي النطرون في محافظة البحيرة.

٣- الكنيسة الصغيرة والمعروفة باسم كلٍّ من القدِّيسَيْن بولا السائح وأنطونيوس

---

(١) الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة فى مصر"* ، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٢٢٢.

(٢) البابا أثناسيوس، *"سيرة أنطونيوس الكبير"* ، منشورات النور، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٩٥.

العظيم في دير القدِّيس سمعان الخرَّاز أو الدبَّاغ في المقطم بالقاهرة.

٤- كنيسة عزبة دير الأنبا أنطونيوس العظيم ببوش المُشيَّدة جنوب الواسطى، وقد أُعيد تجديدها في نهاية القرن التاسع عشر تقريبًا (**الشكل رقم ١**).

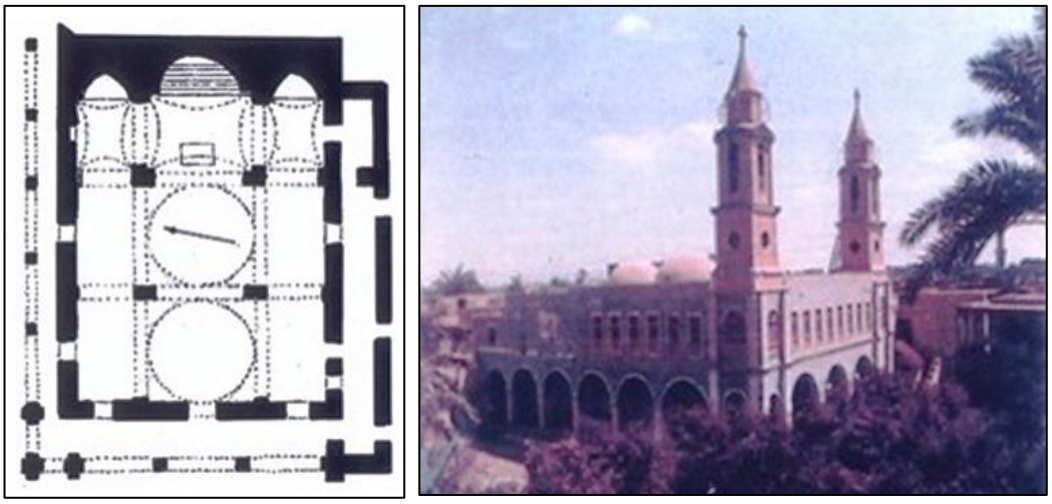

الشكل رقم ١. كنيسة عزبة دير القدِّيس أنطونيوس العظيم ببوش شمال بني سويف.
نقلًا عن الأنبا صموئيل، "دليل الكنائس والأديرة في مصر"، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٢٧.

دير الميمون في كتابات المؤرِّخين والرحَّالة والباحثين:

وردت الإشارة إلى دير الميمون[٣] في المصدر التاريخي الذي كتبه أبو المكارم، والذي عاش في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي. كما أشار المؤرِّخ المملوكي تقي الدين المقريزي[٤] إلى هذا الدير باسم: "دير الجميزة".

وورد ذِكْر دير الميمون أيضًا في *"تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية"* في سيرة البابا غبريال السابع البطريرك رقم ٩٥ (١٥٢٥ – ١٥٦٨م).

(يتبع)

(3) COQUIN, R.G. & MAURICE MARTIN, S.J., "Dayr al-Maymun (History)", in: A.S. ATIYA (ED.), *the Coptic Encyclopedia*, vol.3, New York, 1991, 838a-839b.

(٤) المقريزي، كتاب: "المواعظ والاعتبار بذِكْر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية"، جـ٢، القاهرة، ١٨٣٥، ص ٥٠٢.

حروب يهوه

حيرة الماضي، وعَثرة الحاضر

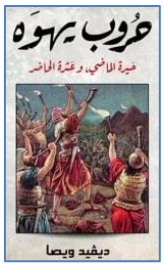

ديفيد ويصا[١]

(١)

كتابٌ يُجيب على اتِّهامٍ يوجَّه إلى مسيحيتنا من الذين هم من خارج، بأنَّ كتابنا المقدَّس هو يدعو للحرب ويوافق عليها؛ أو من الداخل، بأنَّ إله العهد القديم ليس هو إله العهد الجديد. فإله العهد القديم هو إله الحروب والقتل؛ بينما إله العهد الجديد هو إله المحبة والسلام.

هذا الموضوع الشائك كثيرًا ما يُقدَّم في كنائسنا من مُنطلقٍ دفاعي بحت، مِمَّا قد يوحي أننا نقبل ونُبرِّر القتل والدم والاحتلال، طالما باسم الله! أدَّى هذا التوجُّه الدفاعي بدوره لاتِّجاهٍ مُعاكس إلى رفض الحروب بجملتها، واعتبارها تزويرًا وافتراءً من قِبل كَتَبَة العهد القديم، لكي يُلصقوها بالله مُعطين إيَّاها شرعيَّة، ما كان يمكن أن يحصلوا عليها إلَّا بهذه الطريقة!

الإشكالية الأخلاقية:

ترسم النصوص، في سِفْر يشوع، الله بأنَّه يأمر شعب إسرائيل بقتل شعوب أرض كنعان واحتلال أراضيها. هذه الصورة تتناقض مع ما عرفناه عن المسيح الذي رأيناه يتميَّز موقفه بالحبِّ والرحمة والترحاب. بسبب هذا التحدِّي الأخلاقي الذي يُشكِّك في أخلاقيات الإله المُعلَن عنه في العهد القديم، ظهرت هرطقة ماركيون، الذي رَفَضَ إله العهد القديم، واعتبر أنَّ يسوع قد جاء ليُنقذنا منه! وقد حاربت الكنيسة هذه الهرطقة، وحكمت أنَّ كلَّ أسفار العهد القديم هي جزءٌ لا يتجزَّأ من الإيمان والإرث المسيحي. ولكنها كانت أيضًا في صراعٍ مع نصوص الحروب. فهي من جهةٍ، مُتمسِّكة بوحي الكتاب المقدَّس؛ ومن جهةٍ أخرى، كيف توافق على هذه الحروب؟! لأجل هذا ظهرت مدارس مختلفة لتفسير هذه الحروب:

المدرسة الأولى: مدرسة القضاء الإيجابي:

ترى هذه المدرسة أنَّ الله قاضٍ عادل، تدخَّل بقضاءٍ إيجابي وأَمْرٍ مُباشر لإسرائيل بالقضاء على كنعان بسبب شروره، بعد أن تمهَّل عليهم لفترةٍ ليست بقليلة. وترى هذه المدرسة إسرائيل أنها بمثابة الوسيط الذي تمَّم الدينونة، تمامًا مثلما يُنفِّذ "عشماوي"

(١) يقع الكتاب في ١٣٢ صفحة، صَدَرَ سنة ٢٠٢٢م، عن شركة سباركل لفصل الألوان والطباعة.

الحُكْم بالإعدام في المتَّهم المُدان، دون أن يعني هذا أنَّ أَمْر الله لإسرائيل، هو رُخصة مفتوحة للقضاء على أيِّ شعبٍ آخر غير كنعان، سواء وقتها أو بعد ذلك.

المدرسة الثانية: مدرسة القضاء السلبي:

حين يرى الله أنَّ حمايته الرحيمة للبشر من التَّبِعات المُدمِّرة لاختياراتهم تُعزِّز من قساوة قلوبهم واستمرارهم في خطاياهم؛ فلا يعود لديه اختيارٌ سوى أنْ يسحب هذه الحماية. وحين يرى الله – آسِفًا – أنَّ لِزامًا عليه أن يجلب القضاء على البشر، فهو لا يحتاج لأنْ يتقمَّص دور الفاعل العنيف، بل فقط يحتاج لسحب حمايته الرحيمة، كي يسمح للعنف أنْ ينقلب على نفسه، ويحصد الخاطئ نتاج خطاياه.

المدرسة الثالثة: مدرسة الخلفيَّة الحضاريَّة:

هذه المدرسة تقرأ نصوص حروب العهد القديم بعيون شعوب الشرق الأدنى القديم في تدوين حروبهم وانتصاراتهم. على هذا فإنَّ نصوص الحروب التي تصف الانتصارات وعدد القتلى والغنائم، هي نصوصٌ تاريخيَّة غير حرفيَّة. أي إنها تسرد أحداث غزو فِعلي من قِبل إسرائيل ضد كنعان، ولكن وصف الانتصارات يغلب عليه الطابع التهويلي والمُبالغة الأدبيَّة.

المدرسة الرابعة: مدرسة العنف المُبالَغ فيه:

ترى هذه المدرسة أنَّ الله، كقاضٍ عادل، قد فوَّض إسرائيل لتتميم الدينونة في كنعان بسبب شرورهم، وأعطاهم الخطوط العريضة لتنفيذ القضاء، لكنه ترك لهم مهمَّة التنفيذ دون أن يُملي عليهم تفاصيل تتميم الدينونة. لكن إسرائيل تمادى في العنف وبالَغ في القسوة والدمويَّة، بما لم يأمر به الله. فكلُّ تلك الفظائع التي ارتُكِبَت في عمليَّة الغزو (التي لا يمكن أن يُجيزها الضمير أو يُبرِّرها العقل) هي مسؤولية إسرائيل.

مُلخَّص هذه المدارس الأربع:

تنظر هذه المدارس الأربع إلى الله، كقاضٍ عادل، من حقِّه أن يدين الخطاة في توقيته وبطريقته، سواء بطريقةٍ مُباشرة (كالطوفان)، أو من خلال وسيطٍ (كإسرائيل). ولكن اختلفت تلك المدارس في طبيعة القضاء، هل هو قضاءٌ إيجابي، بأوامر مُباشرة لإسرائيل بغزو كنعان؟ أم هو قضاءٌ سلبي، انسحب فيه الله من المشهد، وترك لإسرائيل حرية تنفيذ الغزو؟

واتَّفقت هذه المدارس على تاريخيَّة أحداث الغزو، كما يسردها الكتاب المقدَّس. وإنْ كانت هناك مدرسة وصفت الانتصارات المذكورة بأسلوب المُبالغة والتهويل. **(يتبع)**

Origen of Alexandria

As a sheep, He was led to slaughter

He was able, by taking up all the sin of the whole world into himself, to bring it to nought, and destroy and obliterate it, because he committed no sin, nor was guile found in his mouth, … And I think that it is in accordance with this too that Paul has said, “Him who knew no sin, he has made sin for us, that we might become the justice of God in him.” ... in fact, he alone knew how to bear infirmity, as the prophet Isaias says, “Who was a man with a wound, and who knew how to bear infirmity.” He indeed took our sins and has borne infirmity because of our iniquities, and the chastisement due us has come upon him, that we might be disciplined and regain peace. For this is the way I understand the statement, “The chastisement of our peace was upon him.” And perhaps also, since “by his bruise we were healed” we who were healed by the bruise of the cross that came to him may say, “May I never boast except in the cross of the Lord Jesus Christ, by whom the world has been crucified to me and I to the world.” The Father delivered this Jesus for our sins, and because of them, “he was lead as a sheep to slaughter, and was dumb, as a lamb before its shearer.”

Comm. John, tr. Ronald Heine, FC 89, Washington, 1993, p. 325-326.

****

ἐκ τοῦ Ὠριγένους

Δυνάμενος πᾶσαν τὴν ὅλου τοῦ κόσμου ἁμαρτίαν εἰς ἑαυτὸν ἀναλαβὼν λῦσαι καὶ ἐξαναλῶσαι καὶ ἐξαφανίσαι, ἐπεὶ μὴ ἁμαρτίαν ἐποίησεν οὐδὲ εὑρέθη δόλος ἐν τῷ στόματι αὐτοῦ, … κατὰ τοῦτο δ᾽οἶμαι καὶ τὸν Παῦλον εἰρηκέναι οὕτως· "Τὸν μὴ γνόντα ἁμαρτίαν ὑπὲρ ἡμῶν ἁμαρτίαν ἐποίησεν, "ἵνα ἡμεῖς γενώμεθα δικαιοσύνη θεοῦ ἐν αὐτῷ" … καὶ γὰρ οὗτος μόνος ἐπιστήμων ἦν τοῦ φέρειν μαλακίαν, ὥς φησιν ὁ προφήτης Ἡσαΐας λέγων· "Ἄνθρωπος ἐν πληγῇ ὢν καὶ εἰδὼς φέρειν μαλακίαν". καὶ οὗτός γε τὰς ἁμαρτίας ἡμῶν ἔλαβεν καὶ μεμαλάκισται διὰ τὰς ἀνομίας ἡμῶν, καὶ ἡ ὀφειλομένη ἡμῖν εἰς τὸ παιδευθῆναι καὶ εἰρήνην ἀναλαβεῖν κόλασις ἐπ᾽ αὐτὸν γεγένηται. οὕτω γὰρ ἀκούω τοῦ[τω]· "Παιδεία εἰρήνης ἡμῶν ἐπ᾽αὐτόν". τάχα δὲ καὶ ἐπεὶ "τῷ μώλωπι αὐτοῦ ἡμεῖς ἰάθημεν", εἴποιμεν ἂν οἱ ἰαθέντες ἐκ τοῦ σταυροῦ ἐλθόντος αὐτῷ τοῦ μώλωπος τὸ "Ἐμοὶ δὲ μὴ γένοιτο καυχᾶσθαι εἰ μὴ ἐν τῷ σταυρῷ τοῦ κυρίου "Ἰησοῦ Χριστοῦ, δι᾽ οὗ ἐμοὶ κόσμος ἐσταύρωται κἀγὼ κόσμῳ". τοῦτον τὸν Ἰησοῦν παρέδωκεν ὁ πατὴρ ταῖς ἁμαρτίαις ἡμῶν, καὶ δι᾽ αὐτὰς "ὡς πρόβατον ἐπὶ σφαγὴν ἤχθη καὶ ὡς ἀμνὸς ἐνώπιον τοῦ κείραντος ἄφωνος".

SC 385, p. 141-143

LIVING WITH CHRIST

Articles of Comfort and Blessings Offered to the Reader

In this issue, Father Matta continues his reflections on new verses from the Gospel of St John, proclaiming divine truths for the believers. Enjoy! Note: *All quotations are taken from the* ***New King James Version,*** *if not otherwise mentioned.*

Volume Four

Chapter 26

"But whoever drinks of the water that I shall give him will never thirst. But the water that I shall give him will become in him a fountain of water springing up into everlasting life" (John 4:14).

WHOEVER DRINKS of the water of the world thirsts again because it springs from the ground. Nevertheless, Christ came with living water; in other words, it has the Spirit of God. Whoever drinks of it becomes himself a fountain of living water, out of which, that is out of his heart, springs rivers of this living water, which has the Spirit of God.

One of the wonders of this living water, with which Christ came from above, is that whoever drinks of it will not die, even if death of the body grasps him by surprise, for he rises from the dead unto everlasting life. By "living water", Christ means His teachings that have the secret to everlasting life. The word of Christ quenches the thirsty soul unto truth. We had never heard of hunger and thirst to truth except after Christ came, who Himself is considered "the Word of God" which is truth. Thus, Christ clearly affirms that He is "the way, the truth and the life"[1]. By "the way" He indicates that He is the means to crossing over from earth to heaven where the throne of God is. As for "the truth", He is the revelation of the mystery of God leading unto everlasting life. And as for "the life", it is eternal life itself. All of this is hidden in His teachings and commandments. Therefore, Christ says, in the gospel of St John, "Most assuredly, I say to you, he who hears My word and believes in Him who sent Me has everlasting life, and shall not come into judgment, but has passed from death into life"[2].

The words of Christ are Truth and Life and they lead whoever hears them to everlasting life, and he will not come into judgment, but will pass directly from death to life. The words of Christ are sweet, quenching the soul that is thirsty to truth and to God. Thus, Christ's illustration of His word being the living water is an extremely mystical truth; it does not quench except the one that thirsts and hungers for it. For the word of Christ is sustenance as well as quenching for the soul.

Truly the marvelous thing is that whoever is quenched from Christ's words becomes himself

[1] John 14:6.
[2] John 5:24.

a fountain of living water, not for an hour or a day, nay forever. Everyone who hears him is like one who hears Christ Himself, because just as he was quenched he also quenches. Thus, Christ lives in everyone that believes in and loves Him. As the apostle Paul says, "It is no longer I who live, but Christ lives in me"[3]. Hence, he who truly believes in Christ becomes himself a fountain of living water. It is as if Christ is living in all those who believe and love.

Just as the living water revives man throughout his life, likewise also the word of Christ revives everyone who hears it, and it enters into his heart, making it a fountain of living water. And just as water is sweet and pleasant to the thirsty, where he keeps on drinking of it until he is quenched, likewise also the words of Christ are sweet and pleasant to the one who hears them, where he keeps on drinking and drinking of them until the end of his life. And just as natural water is composed of oxygen and hydrogen, likewise also the words of Christ are made up of truth and light, where the truth uncovers and the light leads. With the natural water, man drinks it and stays in *status quo*; on the other hand, with the living water, man drinks it and ascends to heaven. Natural water has innumerable fountains and springs all over the face of the earth, but as for the living water, it has one Spring in heaven, filling all of heaven.

Oh the joy of humanity with the coming of the Son of God carrying the mystery of the living water so that with it He may resurrect man unto everlasting life. The Samaritan woman desired to drink from the water of everlasting life, whereby it was impossible for her as she had no husband. For the mystery of everlasting life is not owned except by the righteous who are born from above.

December 23, 2005

---

[3] Galatians 2:20.

Chapter 27
"I am the bread of life. He who comes to Me shall never hunger, and he who believes in Me shall never thirst" (John 6:35).

HERE, Christ speaks, uncovering the mystery of eternal life which He came to offer to man after he ate of the forbidden tree and died and passed on to his offspring the curse of eternal death. And the secret to everlasting life was Christ Himself, He who was incarnate in the flesh of man while He Himself is God, so that His body became a source of eternal life because it is a divine body, which means that He carried the fullness of divinity in His body.

In order to give us this divine body, He died with it on the cross, bearing all the sins of humanity in His divine body. So when He died in the flesh on the cross while carrying all of the sins of humanity, all of the sins of man died in Him through the death of the body. Thus, when He rose from the dead, alive, and ascended into heaven, He resurrected man with Him and ascended him with Him to heaven in a new life, a life that is unending and everlasting, namely eternal life.

And for Christ to make His living body, that He rose with from the dead, within man's reach, He took bread in His hands, blessed it, sanctified it and broke it among His holy disciples and apostles saying, "This is My body"[1], which I will give up for you, so that whoever eats of it would be eating the eternal life that is in it.[2]

---

[1] Matthew 26:26.
[2] See John 6: 53, 54.

Thus, Christ considered Himself the living bread "which comes down from heaven"[3], of which if any man eat, he would not hunger for truth nor thirst for righteousness. And whoever eats of this bread which comes down from heaven "will live forever"[4]. For that reason, Christ says, "he who feeds on Me will live because of Me"[5], because He is "the bread of life"[6], and the bread is His body with which He died, a salvation and a redemption, and with which He rose, alive, to give a heavenly life to whoever eats of it.

Christ says, "My flesh is true food, and My blood is true drink"[7]. And the word "true" removes from the body the materialistic trait, making it a spiritual and divine truth. Therefore, whoever eats it is filled spiritually and divinely.

In like manner, when we eat His body, Christ considers us as members of His body, which is why the apostle Paul says that we are members of Christ's body "of His flesh and of His bones."[8] For eating of the body of Christ transforms us into Christ's being, so that we become united with Him and partakers with Him whether it be in His sufferings, cross, death or resurrection, or even His sitting at the right hand of the Father. And even though eating involves actual eating by mouth of bread that was transformed to His body through prayer, sanctification and calling of the Holy Spirit to dwell in it, yet it is considered spiritual. It is a mystical eating by spirit and truth, like a mystical, divine entrance into Christ's being, and a mystical entrance of Christ into our new humanity which was renewed by the Spirit and the truth, so that communion with Christ reaches its ultimate true meaning.

And in this perfect and continual communion with Christ, we are considered to be living in Christ and Christ living in us. This is the meaning of renewal, for the renewed man possesses communion of life in Christ which qualifies him to a firm and true entry into Christ's inheritance of God on high. This is the ultimate goal with which the renewed Christian is endowed, for he tastes it **here** as a spiritual taste for a life **there** as an eternal truth.

December 23, 2005

---

[3] John 6:50.
[4] John 6:51.
[5] John 6:57.
[6] John 6:48.
[7] John 6:55 (NAS, NSV).
[8] Ephesians 5:30.

Chapter 28
"Unless you eat the flesh of the Son of Man and drink His blood, you have no life (eternal) in you" (John 6:53).

HERE, Christ raises eating from the holy body and drinking from the holy blood from the level of free choice and free will to obligation, the abandonment of which is considered eternal death and deprivation of Christ, and consequently eternal deprivation of everlasting life.

This is because eating the body and drinking the blood with true faith in Christ is equivalent to eating all that Christ did for our salvation through the redemption which He fulfilled on the cross and in the glorious resurrection. Thus, he who eats the holy body and drinks the precious blood of Christ has affirmed, witnessed and believed in all that Christ has done for the free salvation. And so, eating the body and drinking the blood is a pure and complete adhesion of

faith, and in it is all that Christ did in Himself for our sake.

Thus, it is synonymous with a faith proclamation and utterance of taking Christ as Lord and God. For that reason, Holy Communion of the body and blood of Christ becomes an essential part of proclaiming faith in Christ and witnessing to Him. It is a process of faith that has a spiritual effect accompanying the one who partakes of the body and the blood, giving him real communion in Christ.

Partaking of the body and blood is called "Communion". And the person who partakes is said to have "taken communion". This is to say that he has received communion with Christ. And The Lord says that, "He who eats My flesh and drinks My blood abides in Me and I in him"[1]; this is the reciprocal abiding. And abiding in Christ is a protective shield from the blows of the enemy and a guarantee for an unshaken life with Christ.

In the early years of Christianity, the mystery of the Eucharist was done in large amounts and was distributed to far cities that did not have churches, on condition that it did not stay overnight, as it had to be eaten on the same day. This was because most cities did not have a bishop, and the church held fast to the fact that the bishop was the only one to carry out the mystery of the Eucharist. Despite that, those partaking of the Eucharist were thousands, because all Christians were adorned with the fear of the Lord and the mystery of godliness.

In the old days, the Lord's Supper, that is the sacrament of the Eucharist, would not take place except on Sunday, which was known as The Lord's Day. Nevertheless, nowadays it is carried out every day in some of churches, and despite that, the number of those taking communion is always sparse due to the absence of piety and holding fast to the faith and the church.

Prayer of the church over the bread and the wine is called Liturgy and it is done in the first hours of the early morning. In the past, the bishop was the one leading and carrying out the liturgy, whereas now the priest is the one responsible for praying the liturgy. And the liturgy has a special prayer that was written by saintly bishops, of which are known and common in Egypt the liturgy of St Basil, the liturgy of St Gregory, and the liturgy of St Cyril the Great which was originally that of St Mark the evangelist and which is the longest and most awesome of all the liturgies. Nevertheless, the most popular of the liturgies in Egypt is that of St Basil, the bishop of Caesarea Cappadocia.

As mentioned before, in the old days, no one other than the bishop of the church would pray the liturgy, whereas now, the priest is the one who is responsible for the church and he carries out the liturgy. Also, in the past and until this day, it is permitted to pray the liturgies in houses for the sick who are disabled and for whom it is a challenge to travel to other cities for communion, so that the sick are not deprived of the body and blood of the Lord.

In the past, the liturgies were held for the hardships of the church and the land, and in the days of wars and revolutions for the purpose of seeking heavenly mercy and help, in order for the Lord to show compassion to His people.

December 23, 2005

✞✞✞

[1] John 6:56.

As a sheep, He was led to slaughter

He was able, by taking up all the sin of the whole world into himself, to bring it to naught, and destroy and obliterate it, because he committed no sin, nor was guile found in his mouth, … And I think that it is in accordance with this too that Paul has said, "Him who knew no sin, he has made sin for us, that we might become the justice of God in him." ... in fact, he alone knew how to bear infirmity, as the prophet Isaias says, "Who was a man with a wound, and who knew how to bear infirmity." He indeed took our sins and has borne infirmity because of our iniquities, and the chastisement due us has come upon him, that we might be disciplined and regain peace. For this is the way I understand the statement, "The chastisement of our peace was upon him." And perhaps also, since "by his bruise we were healed" we who were healed by the bruise of the cross that came to him may say, "May I never boast except in the cross of the Lord Jesus Christ, by whom the world has been crucified to me and I to the world." The Father delivered this Jesus for our sins, and because of them, "he was lead as a sheep to slaughter, and was dumb, as a lamb before its shearer."

Comm. John, tr. Ronald Heine, FC 89, Washington, 1993, p. 325-326.

****

ἐκ τοῦ Ὠριγένους

Δυνάμενος πᾶσαν τὴν ὅλου τοῦ κόσμου ἁμαρτίαν εἰς ἑαυτὸν ἀναλαβὼν λῦσαι καὶ ἐξαναλῶσαι καὶ ἐξαφανίσαι, ἐπεὶ μὴ ἁμαρτίαν ἐποίησεν οὐδὲ εὑρέθη δόλος ἐν τῷ στόματι αὐτοῦ, … κατὰ τοῦτο δ᾽οἶμαι καὶ τὸν Παῦλον εἰρηκέναι οὕτως· "Τὸν μὴ γνόντα ἁμαρτίαν ὑπὲρ ἡμῶν ἁμαρτίαν ἐποίησεν, "ἵνα ἡμεῖς γενώμεθα δικαιοσύνη θεοῦ ἐν αὐτῷ" … καὶ γὰρ οὗτος μόνος ἐπιστήμων ἦν τοῦ φέρειν μαλακίαν, ὥς φησιν ὁ προφήτης Ἡσαΐας λέγων· "Ἄνθρωπος ἐν πληγῇ ὢν καὶ εἰδὼς φέρειν μαλακίαν". καὶ οὗτός γε τὰς ἁμαρτίας ἡμῶν ἔλαβεν καὶ μεμαλάκισται διὰ τὰς ἀνομίας ἡμῶν, καὶ ἡ ὀφειλομένη ἡμῖν εἰς τὸ παιδευθῆναι καὶ εἰρήνην ἀναλαβεῖν κόλασις ἐπ᾽ αὐτὸν γεγένηται. οὕτω γὰρ ἀκούω τοῦ[τω]· "Παιδεία εἰρήνης ἡμῶν ἐπ᾽αὐτόν". τάχα δὲ καὶ ἐπεὶ "τῷ μώλωπι αὐτοῦ ἡμεῖς ἰάθημεν", εἴποιμεν ἂν οἱ ἰαθέντες ἐκ τοῦ σταυροῦ ἐλθόντος αὐτῷ τοῦ μώλωπος τὸ "Ἐμοὶ δὲ μὴ γένοιτο καυχᾶσθαι εἰ μὴ ἐν τῷ σταυρῷ τοῦ κυρίου "Ἰησοῦ Χριστοῦ, δι᾽ οὗ ἐμοὶ κόσμος ἐσταύρωται κἀγὼ κόσμῳ". τοῦτον τὸν Ἰησοῦν παρέδωκεν ὁ πατὴρ ταῖς ἁμαρτίαις ἡμῶν, καὶ δι᾽ αὐτὰς "ὡς πρόβατον ἐπὶ σφαγὴν ἤχθη καὶ ὡς ἀμνὸς ἐνώπιον τοῦ κείραντος ἄφωνος". SC 385, p. 141-143

St. Mark *Monthly Review*

Published by: The Monastery of St. Macarius the Great, Wadi El-Natrun.

ANNUAL SUBSCRIPTIONS (10 issues a year, July & August excluded, sent by Int. Courier):

U.S.$ 100.00; Single Copies U.S.$ 10.00

Subscriptions to be paid through our Website as mentioned below, or sent by a check to:

"St Macarius Printing House", P.O. Box 1574, Centreville, VA 20122, USA.

No materials may be reproduced in whole or in part without written permission from the publisher.

© 2024 by the Monastery of St. Macarius the Great.

Library of Congress Catalogue Card Number: 80–960629. ISSN 2805-2382

VISIT THE WEBSITE OF THE MONASTERY: WWW.STMACARIUSMONASTERY.ORG

ST. MARK

April 2024

Monthly Review

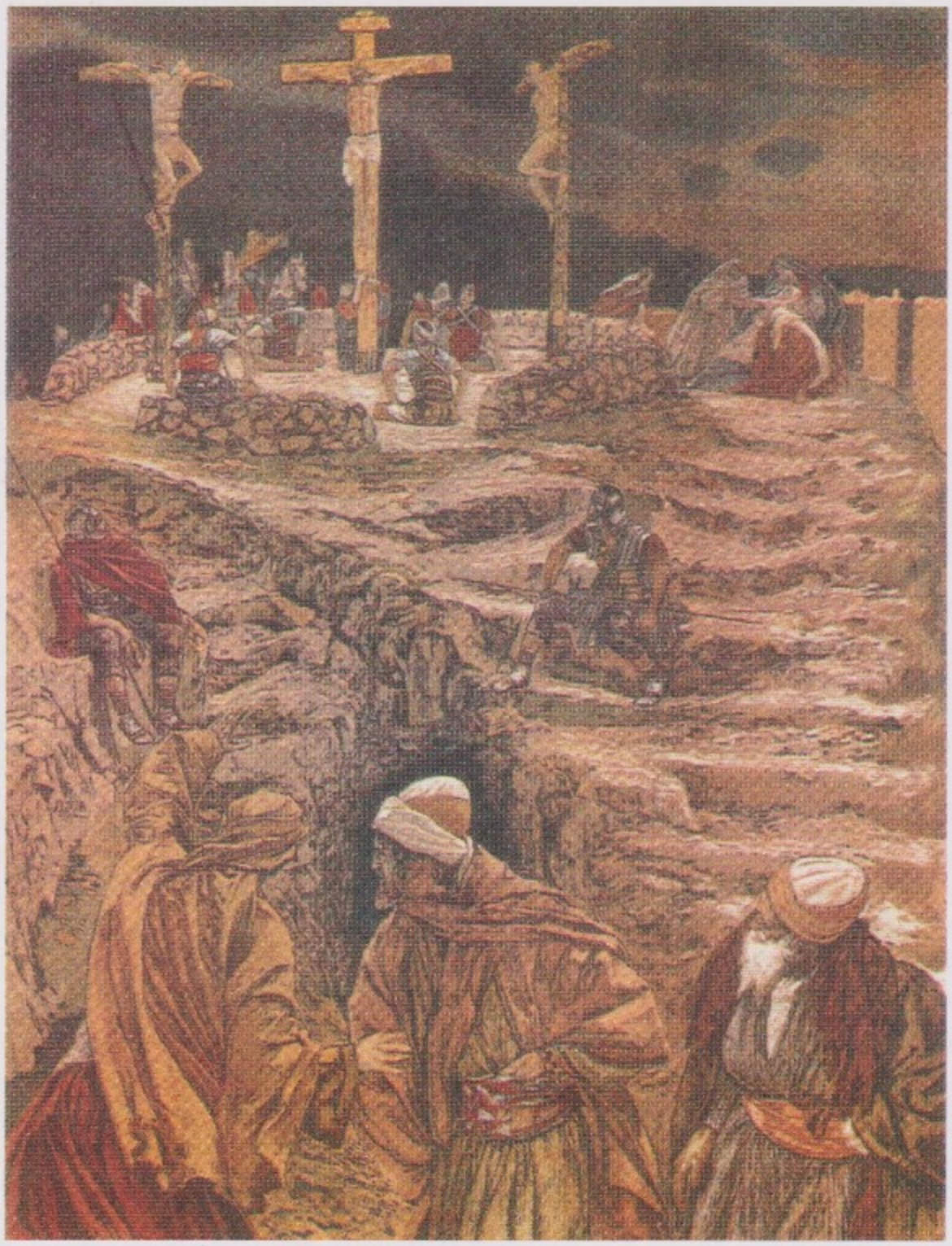

"… and there was darkness over the whole earth"

They crucified Christ between two robbers that the scripture might be fulfilled which say, "He was reckoned with the transgressors" (Mk 15:28). "It was about the sixth hour, and there was darkness over the whole earth until the ninth hour, while the sun's light failed; and the curtain of the temple was torn in two. Then Jesus, crying with a loud voice, said, 'Father, into thy hands I commit my spirit!' And having said this he breathed his last. Now when the centurion saw what had taken place, he praised God and said, 'Certainly this man was innocent.' And all the multitudes who assembled to see the sight, when they saw what had taken place, returned home beating their breasts. And all his acquaintances and the women who had followed him from Galilee stood at a distance and saw these things" (Lk 23:44-49).

(Illustration from, *The Life of our Savior Jesus Christ*, by James Tissot)